بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث من ربه بالبينات والهدى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه ولأثره اقتفى.

أما بعد:

فقد اشتد انحراف الصوفية واستطار شر ضلالهم بشتى أنواع المخالفات الشرعية، من الشرك الأكبر، وما دونه، حتى بلغ الأمر بكثير منهم إلى منازعة الرب عز وجل فيما هو من خصائصه، فرأيت لزامًا على أن أنكر هذه المنكرات، إضافة إلى ما قد يسره الله لي عليهم من الردود المطبوعة، فوقع اختياري على جمع شيء من أقوالهم وأفعالهم الشركية والبدعية المشهورة عنهم في كتبهم، وفي النقولات الموثقة عليهم، في جزء صغير يسهل تناوله ويرجى أن يعم نفعه مع التعليق على بعض تلك الأقوال والأفعال البائرة بما يسره الله من الرد لجمع هذا المقصود، فجمعت بين يدي عددًا من كتب الردود عليهم بما فيها كتاب «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» لمؤلفه إدريس بن محمود إدريس، جزاه الله خيرًا، فأفدت منه كثيرًا مما رأيته مهمًا في الموضوع، ورجعت إلى مصادرها التي عزوا إليها، وهي في متناولي، وما ليس منها عندي، عزوته إلى الكتاب المذكور، عملًا بالأمانة العلمية، وهذا جهد المشغول والمقل، من باب قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، وقول النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وبالله التوفيق

كتبه / يحيى بن علي الحجوري في ٣/ شوال / ١٤٣١هـ.

نشأة التصوف:

كانت في القرن الثاني واشتهرت بعد القرون الثلاثة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ، بقوله: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]:

(أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك).

وقال ابن الجوزي[(٢)]:

(وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين).

ومما يدل على أن التصوف أوله في القرن الثاني قول الإمام الشافعي، كما أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب ومناقب الشافعي» ص(٣١٠)، وعنه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٢٨٣)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٤٦)، من طريق الحسن بن عبد العزيز الجروي، قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: «خلفت بالعراق شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير، يشتغلون به عن القرآن».

قال البيهقي: وقال بعضهم فيه: تركت بالعراق شيئا وضعته الزنادقة، هذه الألحان.

والشافعي رحمه الله توفي عام ٢٠٤هـ، وغادر بغداد ودخل مصر سنة ١٩٩هـ.

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥).

(٢) في «تلبيس إبليس» ص (٢٠١-٢٠٢).

تأثر الصوفية:

قال صاحب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»[١]:

(ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة؛ بسبب قربها من بلاد فارس، والتأثر بالفلسفة اليونانية، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب).

وقد تنازع العلماء المؤرخون في أول من تسمى به على أقوال ثلاثة:

قول شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن وافقه، أن أول من عرف بالصوفي: أبو هاشم الكوفي المتوفي سنة (١٥٠أو ١٦٢هـ)بالشام بعد أن انتقل إليها.

ويذكر بعض المؤرخين أن عبدك – عبد الكريم أو محمد – المتوفي سنة (٢١٠هـ)، هو: أول من تسمى بالصوفي...، بينما يذكر الملطي في «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام لا يحل لأحد منها إلا القوت.

مصدر التلقي عند الصوفية:

قرر أبو بكر بن سالم العلوي الملقب عندهم بفخر الوجود، دعوى التلقي عن الله تعالى مباشرة[٢]، فقال:

ونحن نقول والله أعلم، علمُنا من قوله: ﴿**وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾[٣]، وهم أخذوا العلم ميتًا عن ميت، ونحن أخذنا علمنا من الله الحي الذي لا يموت.

---

(١) ص (٢٥١).

(٢) كما جاء في كتاب «الجواهر في مناقب أبي بكر تاج الأكابر» (١/ ٦٢)، ونقله عنه صاحب كتاب «الصوفية في حضرموت» ص (٢٣٦).

(٣) أي علمهم لدني.

الرد: قال الإمام الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان»، عند الآية المذكورة (٦٥) من سورة الكهف:

هذا العبد المذكور في هذه الآية الكريمة هو: الخضر عليه السلام بإجماع العلماء، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي ﷺ.

إذا علم أن الآية بخصوص الخضر عليه السلام، بدلالة سياق الآيات المذكورة قبل هذه الآية وبعدها، وصحاح السنة، فاعلم أن من ادعى أنه عنده علم لدني يستغني به عن علم النبوة كما عند الخضر فهو كافر.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، كتاب العلم- باب ٤٤- تحت حديث رقم ١٢٢:

ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة، فقالوا: إنه يستفاد من قصة موسى والخضر أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء، وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم؛ لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأغيار، فتنجلي لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون الأحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسى، ويؤيده الحديث المشهور «**استفت قلبك وأن أفتوك**»، قال القرطبي: وهذا القول زندقة وكفر؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع، فإن الله قد أجرى سنته وأنفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله، السفراء بينه وبين خلقه، المبينين لشرائعه وأحكامه، كما قال الله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ**

﴿ٱلنَّاسِ﴾، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، وأمر بطاعتهم في كل ما جاؤوا به، وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به، فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين وإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طريقًا أخرى يعرف بها أمره ونهيه غير الطرق التي جاءت بها الرسل يستغني بها عن الرسول فهو كافر يقتل ولا يستتاب، قال: وهي دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا؛ لأن من قال إنه يأخذ عن قلبه؛ لأن الذي يقع فيه هو حكم الله، وأنه يعمل بمقتضاه من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، كما قال نبينا ﷺ: «**أن روح القدس نفث في روعي**» قال: وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال: أنا لا آخذ عن الموتى، وإنما آخذ عن الحي الذي لا يموت، وكذا قال آخر: أنا آخذ عن قلبي عن ربي، وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع نسأل الله الهداية والتوفيق، وقال غيره: من استدل بقصة الخضر على أن الولي يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة، ويجوز له فعله فقد ضل، وليس ما تمسك به صحيحًا، فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء منه ما يناقض الشرع، فإن نقض لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها، ثم إذا تركها أعيد اللوح، جائز شرعًا وعقلًا، ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر، وقد وقع ذلك واضحًا في رواية أبي إسحاق التي أخرجها مسلم، ولفظه «**فإذا جاء الذي يسخرها فوجدها منخرقة تجاوزها فأصلحها**» فيستفاد منه وجوب التأني عن الإنكار في المحتملات، وأما قتله الغلام فلعله كان في تلك الشريعة، وأما إقامة الجدار فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان، والله أعلم.

من كفريات الصوفية:

١- السحر: قال عمر بن سالم باحفيظ[(١)]:

وهو أنواع – أي:السحر-: ولتعدد أنواعه، تعددت أحكامه، حتى قال بعضهم: إن من أنواع السحر ما حكم تعلمه مكروه، ومنها ما حكم تعلمه جائز، بل قال البعض: إن من السحر ما حكم تعلمه واجب[(٢)].

فكيف يكون تعلم الكفر واجبًا، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾[البقرة: ١٠٢]، الآيات.

٢- قال المقبلي في العلم الشامخ ص (٥٦٩):

قال ابن التلمساني – وقد قرئ عليه الفصوص وقيل له: هذا كله يخالف القرآن- : القرآن كله شرك وإنما التوحيد في قولنا.

قلت: القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ**﴾ [التوبة: ٦]، والله يقول: ﴿**قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦]، ويقول: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا**﴾ [النساء: ٨٧]، ويقول: ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ**﴾[الإسراء: ٩]، وقال: ﴿**لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت: ٤٢].

---

(١) في كتابه «مواهب المنان بشرح أحاديث نور الإيمان» ص (٩-١٠).

(٢) انظر «مخالفة الصوفية للإمام الشافعي» ص (٩٤).

٣- ونقل ما عندهم من الإباحية: في نفس المصدر، أن أحدهم قيل له فما الفرق بين أختي وزوجتي، قال: لا فرق عندنا، لكن هؤلاء المحجوبون، قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم[١].

الهداية و الذوق عند الصوفية

قال ابن عربي:

(جميع علومنا من علوم الذوق، لا من علم بلا ذوق، فإن علوم الذوق لا تكون إلا عن تجلي إلهي، والعلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق، وبالنظر الصحيح)[٢].

ويقول عبدالرحمن الوكيل: (ويدين الصوفية ببهتان آخر، يدمغها بالمروق عن الإسلام، ذلك هو اعتقادها، أن الذوق الفردي - لا الشرع، ولا العقل- هو وحده وسيلة المعرفة، ومصدرها معرفة الله وصفاته، وما يجب له فهو -أي الذوق- الذي يقوّم حقائق الأشياء، ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية، بالحسن أو القبح، بأنها حق أو باطل.

فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وثنًا بغير ما تعبده أخرى، أو تخضع لصنم يكفر به سواها من

---

(١) ونقل هذا السندي في كتابه «التصوف في ميزان البحث» ص(٤٣٩)، مع الرد الوافر على هذه المقولة، بقوله: هكذا كفروا بالله تعالى كفرًا بواحًا، وأشركوا به شركًا لم نجد لهم مثالًا سابقًا في تاريخ الأنبياء والرسل، وساق من آيات القرآن، وقال المقبلي رحمه الله: قارن هذا القول الكفري...مع هذه الآيات.

(٢) «اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر» للشعراني (٢/ ٨٤).

النحل الصوفية، لا عجب من ذلك كله ما دامت تجعل الذوق الفردي حاكمًا وقيمًا على المسميات وأسمائها)[١].

تنفير الصوفية عن العلم الشرعي:

قال أبوبكر الوراق[٢] عن كتابة الحديث والاهتمام به:

(آفة المريد ثلاث: التزويج، وكتابة الحديث، والأسفار)[٣].

ويقول الجنيد:

(إذا لقيت الفقير -أي الصوفي- فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه)[٤].

العلم الشرعي عند الصوفية حجاب عن الله:

قال أبو يزيد البسطامي:

(أشد المحجوبين عن الله ثلاثة: الزاهد بزهده، والعابد بعبادته، والعالم بعلمه)[٥].

فإذا عرف هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلموا، ولم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها،

---

(١) «هذه هي الصوفية » لعبد الرحمن الوكيل ص (٢٠).

(٢) هو محمد بن عمرو الحكيم الترمذي. مترجم في «طبقات الصوفية» للسلمي ص ٢٢١.

(٣) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٣٦).

(٤) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٤٥).

(٥) «تراجم الصوفية» للمناوي.

والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو بنفسه في زاوية، ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همه بقراءة القرآن، ولا بالتأمل في نفسه، ولا يكتب حديثًا ولا غيره، ولا يزال يقول: «الله الله الله»، إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان، ثم يمحو عن القلب صورة اللفظ)[1].

(١) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي (٣/ ١٦، ١٧)، طبعة عالم الكتب، وهذا الكتاب « إحياء علوم الدين» كتاب ضلال، ومؤلفه من ضلال الصوفية، قال أبوبكر بن العربي، كما في ترجمة محمد بن محمد الغزالي، عن الغزالي: بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع، وقال القرطبي، كما في السير (٣/ ٣٢٦): إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه، ثم تبرأ منه شغفًا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره، ومساطير أساطيره المباينة للدين.

وقال الطرطوشي، كما في ترجمة أبي حامد الغزالي، من تاريخ الإسلام (٣٥/ ١٢٢)، في رسالة لابن المظفر في سياق كلامه على الغزالي، قال: ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب العقول، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين، فلما عمل الإحياء، عمد يتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها ولا خير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات.

وقال ابن الصلاح في طبقات الفقهاء (١/ ٢٥٢): أشياء مهمة أنكرت على الغزالي في مصنفاته، ولم يرتضها أهل مذهبه وغيرهم، من الشذوذ في تصرفاته، منها: قوله في المنطق هو مقدم العلوم كلها، ومن لا يحيط به فلا ثقة له بمعلومة أصلًا، هذا مردود...الخ.

قال: وقال الطرطوشي: شحن الغزالي كتابه الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا على مبسطة الأرض أكثر كذبًا على رسول الله ﷺ منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفاء، وهم قوم يرون النبوة اكتسابًا، فليس نبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل...اهـ. من تاريخ الإسلام للذهبي (٣٥/ ١٢٤).

وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية» (١٦/ ٢١٤)، وقد صنف ابن الجوزي كتابًا على الإحياء، وسماه « إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء» وتكلم عليه الإمام المارزي كما في تاريخ الإسلام للذهبي (٣٥/ ١٢٠).

الرد على الصوفية بذكر بعض أدلة وجوب تعلم دين الله تعالى وفضل العلم الشرعي وفضل أهله:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ١ – ٥]. قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآيات: «فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وإن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملآئكة».

وقال الإمام البخاري – رحمه الله – في كتاب العلم من صحيحه: «**بَاب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ الله تَعَالَى﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كما في « مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٥٢): والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإن فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًا للمسلمين وألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه، وقالوا: أمرضه « الشفاء»، يعني شفاء ابن سيناء في الفلسفة، وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية، وترهاتهم.

وقال ابن الجوزي في « تلبيس إبليس»ص (٢٠٥): وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، خرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكواكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه أنوار، هي حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات، وهذا كلام من جنس كلام الباطنية...

وكلام أئمة الدين في بيان ضلال الغزالي وعظائم كتابه الإحياء كثير، وقد صنفت مصنفات عديدة في بيان ما في إحيائه من طوام، فيرجع إليها من أراد ذلك.

الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾، ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ»، «وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ»، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ- وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ- ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾، حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ: الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ».

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن الذين يخشون الله حقًا هم أولوا العلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨].

وأبان الله عز وجل عدم التساوي بين العالمين والجاهلين ، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

وأما الأدلة من السنة في الحث على طلب العلم وفضله فكثيرة جدًا، وإليك نبذة:

وأخرج البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧): حديث معاوية رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺيقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**».

استهزاء الصوفية بعلماء دين الله عز وجل وحملة سنة نبيه ﷺ:

قال إبراهيم بن سبتيه:

(حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون: فلانًا لقي فلانًا وأخذ علمه، وكتب منه الكثير، وفلانًا لقي فلانًا، فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)[1].

قال ابن عربي: (وما خلَق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به، من طريق الوهب الإلهي، الذي منحهم أسراره في خلقه، وفهمهم معاني كتابه، وإشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل)[2].

قلت: وهذا الطعن من الزنديق ابن عربي لكل علماء الملة من بعد رسول الله ﷺ، وادعاء هؤلاء الزائغين أن عندهم علومًا لدنّية خاصة بهم، هذا كفر بالله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[الشورى: ٥١].

وقد رد على هذه الضلالة غير واحد من أهل العلم، منهم العلامة عبد الرحمن المعلمي – رحمه الله – في كتابه «القائد إلى تصحيح العقائد»، المطبوع في آخر «التنكيل» ص (٢٤٠)، قال: «و من أول من مزج التصوف بالكلام الحارث

---

(١) وانظر «الكواكب الدرية» للمناوي (١/ ٣٤٦)، وأخرجه القزويني في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر «الفتوحات المكية» لابن عربي (٢/ ١٧٥).

المحاسبي ، ثم اشتد الأمر في الذين أخذوا عنه فمن بعدهم ، و كان من نتائج ذلك قضية الحلاج ، و لعله كان في أقران الحلاج من هو موافق له في الجملة ، بل لعل فيهم من هو أغل منه إلا أنهم كانوا يتكتمون ، و دعا الحلاج إلى إظهار ما أظهره حب الرياسة. و كذلك الفارابي و ابن سينا نتقاً من ذلك.

و كذلك في كلام متفلسفي المغاربة كابن باجة و غيره، و هكذا الباطنية كانوا ينتحلون التصوف ، فلما جاء الغزالي نصب منصب الكلام و الفلسفة الباطنية ، و زعم أن الحق لا يعدوا هذه الأربع المقالات ، و قضى ظاهراً للتصوف مع ذكره كفيره أن طائفة من المتصوفة ذهبوا إلى الإباحة المحضة ، و في ذلك نبذ الشرائع البتة ، ثم لم يزل الأمر يشتد حتى جاء ابن عربي و ابن سبعين التلمساني ، و مقالاتهم معروفة ، و من تتبع ما كان عليه النبي ﷺ و الصحابة و أئمة التابعين ، و ما يصرح به الكتاب و السنة و آثار السلف ، و أنعم النظر في ذلك ، ثم قارن ذلك بمقالات هؤلاء القوم علم يقيناً أنه لا يمكنه إن لم يغالط نفسه أن يصدق الشرع و يصدقهم معاً، و إن غالط نفسه و غالطته ، فالتكذيب ثابت في قرارها و لابد.

هذا والشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين ، ففي (صحيح البخاري) من حديث أبي هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا: و ما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة**».

وقال: «فالكشف إذن تبع للهوي ، فغايته أن يؤيد الهوى و يرسخه في النفس و يحول بين صاحبه و بين الاعتبار و الاستبصار ، فكان الساعي في أن يحصل له الكشف ، إنما يسعى في أن يضله الله عز وجل ، و لا ريب أن من التمس الهدى من غير السراط المستقيم مستحق أن يضله الله عز و جل ، و ما يزعمه بعض غلاتهم من

أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق من الكشف و ما هو باطل ، دعوى فارغة، إلا ما تقدم عن أبي سليمان الداراني ، و هو أن الحق ما شهد له الكتاب و السنة ، و لكن المقصود الشهادة الصريحة التي يفهمها أهل العلم من الكتاب و السنة بالطريق التي يفهمها بها السلف الصالح.

فأما ما عرف عن المتصوفة من تحريف النصوص بما هو أشنع و أفظع من تحريف الباطنية فهذا لا يشهد لكشفهم ، بل يشهد عليه أوضح شهادة بأنه من أبطل الباطل».

من عقيدة الصوفية أنهم على حقيقة تخالف الشريعة الإسلامية:

وقد ذكر ابن عجيبة في «الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية» كما في كتاب «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (١/ ١١١)، قال:

(أسرار الله يبديها الله إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء، من غير سماع ولا دراسة، وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص، فإذا سمعها العوام أنكروها، ومن جهل شيئًا عاداه).

قلت: قال نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[المائدة: ١١٦].

وقد وضع لهم في ذلك حديثًا، يزعمون أن النبي ﷺ، قال:« **إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا انطلقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله**» الحديث [(١)].

(١) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين الصوفية (٨/ ٢)، ومن طريقه أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، وذكر هذا العلامة الألباني -رحمه الله- في الضعيفة رقم (٨٧٠)، وأبان أنه

قال القشيري:(الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية).

ثم قال: (فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر)[1]، وكلامه هذا فيه أن الحقيقة عندهم: عدم التزام الشريعة الإسلامية، جملة وتفصيلًا، من توحيد الله عز وجل، وما بعده، وأي كفر أعظم من هذا!، وفيه ادعاء مشاهدة الله عز وجل، ورؤيته في الحياة الدنيا، وهذا كذب محض، قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ**﴾[الأعراف: ١٤٣]، قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾[الأعراف: ١٤٣]. وفي صحيح مسلم، أن النبي ﷺ، قال: «**وَأَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تَمُوتُوا**»[2]، وقوله: إن الحقيقة اطلاع على ماقضى وقدر وأخفى وأظهر، هذا كفر بالله عز وجل، قال الله

ضعيف جدًا، فيه علل: إحداها: فيه عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي، كذاب، والثانية: نصر بن أحمد، لم يجده، والثالثة: عنعنة ابن جريج، الرابعة: الاختلاف في سنده، قلت: الخامسة: أن أبا عبد الرحمن السلمي راوي هذا الحديث وضاع، قال الذهبي – رحمه الله – في ترجمته من ميزان الاعتدال: محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي، شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، تكلموا فيه وليس بعمده، قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الاحاديث للصوفية، قلت: وهذا لحديث واحد من تلك الأحاديث.

(١) انظر الرسالة القشيرية (١/ ٢٦١)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبادة بن الصامت، رقم (٢٢٧٦٤).

تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٦ ، ٢٧].

وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[الأنعام: ٥٠]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل: ٦٥].

وقال ابن عربي في «الفتوحات المكية» في سياق بأن المتصوفة تفيض عليهم العلوم فيضانًا من الله:

(ولما رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى أن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية، علمت أن ثم علمًا آخر بالله تعالى لا تصل إليه من طريق الفكر، فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات... والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل، وتقديس القلب عن شوائب الأفكار).

وقد بالغ المتصوفة في رفع شأن علمهم المزعوم، وأوجبوا على كل إنسان أن يذهب إلى زعماء الطرق الصوفية من أجل أن يحصل على علم الحقيقة من الله مباشرة.

وجوب هذا العلم المكذوب عند الصوفية:

قال أحد كبارهم وهو أبو الفيض محمود المنوفي في كتابه «بداية الطريق» ص (٦٦): (اعلموا رحمكم الله، أن علم التصوف يقال له: علم الباطن)، ثم قال: (لا ينبغي للعالم ولو تبحر في العلوم حتى صار وحيد أهل زمانه أن يقنع بما علمه، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق تعالى في

سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، ويصير أهلًا لفيضان العلوم اللدنية على قلبه، ولا يتيسر ذلك عادة إلا بسلوك الطريق على يد شيخ كامل، عالم بعلاج النفوس وتطهيرها من الخبائث).

عداؤهم لعلماء الشريعة:

نقل عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشاذلي، في كتابه «لطائف المنن» (١/ ١٤٥)، كما في كتاب «مظاهر الإنحرافات»: (فهم يقولون ما بيننا وبين هؤلاء المنكرين علينا مودة ولا محبة، لأنه ليس معهم شيء لنستفيده، ولا يقبلون منا ما هو معنا من المعارف والأسرار).

ففي هذا القول إعراض الصوفية عن علماء الشريعة، من لدن رسول الله ﷺ، وما بعده، وإعراضهم عن القرآن والسنة وعلومها، وإقبالهم على وساوس الشيطان التي يسمونها أسرارًا وحقائقًا.

وقد نقل الشعراني أيضًا عن سيده علي الوفا أنه كان يقول:

(التسليم للقوم أسلم، والاعتقاد فيهم أغنم، والإنكار عليهم سم ساعة في إذهاب الدين، وربما تنصر بعض المنكرين ومات على ذلك).

ثم قال الشعراني:

(فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فأَجْلِ مرآة قلبك، فإنك تشهد الصوفية من خيار الناس، ويقل إنكارك، وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار؛ لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك). انظر لطائف المنن للشعراني.

الصوفية باطنية:

قال الزنديق الصوفي ابن عربي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]. إيجاز البيان فيه: يا محمد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أي: ستروا محبتهم في عنهم، ف﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بوعيدك الذي أرسلتك به، ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي، وهم ما عقلوه ولا شاهدوه).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، قال: (وكيف يؤمنون بك يا محمد، وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعًا لغيري، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون كلامًا في العالم إلا مني، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي). انظر الفتوحات.

وقال ابن عقيل الحنبلي – رحمه الله–:

(فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ، الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدايح العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع، وإهمال لأحكام الشرع، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة.

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح؛ لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع)[١].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى –[٢]:

(ومن كيد الشيطان، ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوي الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقًا إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان، وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن، فحسن لهم رياضة النفوس، وتهذيبها، وتصفية الأخلاق، والتجافي عما عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم والعمل، على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم، فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول، نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد، كشفًا وعيانًا، فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل، قالوا: لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار، كما ينسلخ الليل من النهار، ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات، فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان، فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه

---

(١) انظر «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ص (٤٤٩-٤٥٠) طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) في كتابه «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٩) طبعة دار المعرفة بيروت.

عليهم الشيطان من الخيالات، والشطحات، وأنواع الهذيان، وكلما ازدادوا بعدًا وإعراضًا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم).

الغلو الزائد في الرسول ﷺ، والأولياء تشبهًا منهم بالنصارى:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧].

وأخرج أحمد في «مسنده» (١/ ٢١٥)، رقم (١٨٥١)، وابن ماجة رقم (٣٠٢٩)، وابن خزيمة رقم (٢٨٦٧)، وابن الجارود رقم (٤٧٣)، وابن حبان رقم (٣٨٧١)، وأبو يعلى رقم (٢٤٢٧)، وغيرهم من طريق عوف بن أبي جميلة عن زياد ين حصين عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، غَدَاةَ جَمْعٍ: **«هَلُمَّ الْقُطْ لِي»** فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: **«نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»**، وإسناده صحيح، ففي هذا أن أعظم من هلك من الأمم كان بسبب الغلو في الدين من قوم نوح وما بعدهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[نوح: ٢٣ ، ٢٤].

روى البخاري عن ابن عباس، أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس، قولوا ببعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**». أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»

ص (٢٥٠)، من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك به، وهذا إسناد صحيح.

من غلوهم في رسول الله ﷺ: أن الله خلق من نور محمد جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء، وما فيها وما بينهما:

قال عبدالعزيز الدباغ: «وانفلقت الأنوار»، أن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ﷺ، ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها، ثم خلق اللوح، ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ...).

(ثم إن الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ، وأمرهم أن يعبدوه عليها، وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها فإنها أيضًا خلقت من نور، وخلق ذلك النور من نوره ﷺ، وأما البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة، وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ)[1].

وهذه معارضة لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا

(١) انظر الإبريز للصوفي عبد العزيز بن مسعود الدباغ ص (٢٥٢)، كما في مظاهر الانحرافات عند الصوفية (١/ ١٤٢).

نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج: ٥].

و هو قولهم بأن جميع الأنبياء فاضت عليهم العلوم من الرسول ﷺ.

وقال البوصيري:

(فإن من جودك الدنيا ومن علومك علم اللوح
وكل آي أتى الرسل الكرام فإنما اتصلت من نوره بهم)

والرسل عليهم الصلاة والسلام لم تفض عليهم العلوم من الرسول كما يزعمون، بل نزلت عليهم من الله عز وجل وحيًا كما نزلت على الرسول محمد ﷺ، وهذه معارضة لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]. وقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠]. وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

غلوهم في الأولياء:

قال الملحد الصوفي ابن عربي:

(القطب هو مركز الدائرة ومحيطها، ومرآة الحق، عليه مدار العالم، له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق، ومنزلة حضرة الإيجاد والصرف، فهو الخليفة، ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم، وحاله الحالة العامية، لا يتقيد بحال تخصيص، فإنه الستر العام في الوجود، وبيده خزائن الوجود، والحق له متجلٍ على الدوام، وله من البلاد مكة، ولو سكن حيث ما سكن بجسمه فإن محله مكة ليس إلا)[1].

وقال الدسوقي:

(ومكنني في سائر الأرض وفي الجن والأشباح والمردية
وفي أرض صين الصين لأقصى بلاد الله تحت ولايتي)

وهذه معارضة للقرآن والسنة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨ – ٨٩]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف: ٥٤].

ذكر صاحب كتاب «مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلاني» راويًا عن الرفاعي أنه قال:

(توفي أحد خدام الغوث الأعظم، وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرعت والتجأت إليه، وطلبت حياة زوجها، فتوجه الغوث إلى المراقبة، فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومع الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم،

(١) «الإنسان الكامل» لابن عربي، كما في «مظاهر الانحرافات».

فقال: يا ملك الموت، قف وأعطني روح خادمي فلان، وسماه باسمه، فقال ملك الموت: إني أقبض الأرواح بأمر إلهي، وأؤديها إلى باب عظمته، كيف يمكنني أن أعطيك روح الذي قبضته بأمر ربي؟؟ فكرر الغوث عليه إعطاءه روح خادمه إليه، فامتنع من إعطائه، وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم، فبقوة المحبوبية جر الزنبيل وأخذه من يده، فتفرقت الأرواح ورجعت إلى أبدانها، فناجى ملك الموت عليه السلام ربه، وقال: يا ربي، أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبدالقادر، فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم، فخاطبه الحق جل جلاله: يا ملك الموت، إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي، لم لا أعطيته روح خادمه، وقد راحت الأرواح كلها من قبضتك بسبب روح واحد، فتندم هذا الوقت).

وذكر أحد الصوفية بأن الشيخ محمد صديق وقع في البحر، ولم يكن يعرف السباحة، فكاد أن يغرق، فناداه -أي عبدالقادر- مستغيثًا به، فحضر وأخذ بيده، وأنقذه من الغرق.

وحكى في نفس الصفحة أنه كان جالسًا يومًا مع أصحابه في رباطه، إذ ابتلت يده الشريفة وكمه إلى إبطه، فعجبوا من ذلك، وسألوه عنه، فقال رضي الله عنه: (استغاث بي رجل من المريدين تاجرًا كان راكبًا في السفينة، وقد كادت أن تغرق، فخلصتها من الغرق، فابتل لذلك كمي ويدي، فوصل هذا التاجر بعد مدة وحدث بهذا الأمر، كما أخبر الشيخ رضي الله عنه).

هذا الكلام فيه منازعة لله عز وجل في ربوبيته، والله! لا نعلم في مشركي العرب من ادعى هذه الأكاذيب، والقرآن كله رد على هذه الشركيات من ذلك:

قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]. وقال: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ [القصص: ٦٤]. وقال: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]. وقوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: ٤]. وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

أكذوبة العلم اللدني عند الصوفية:

قال ابن عربي الطائي: (حدثني قلبي عن ربي، أو حدثني ربي عن قلبي، أو حدثني ربي عن نفسه بارتفاع الوسائط)[1].

وهذه معارضة من هذا الزنديق لقول الله تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾[الأحزاب: ٤٠].

قال الطحاوي – رحمه الله -: «وإنه خاتم الأنبياء»، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: قال تعالى: ﴿**وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾[الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه، وترك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل**»، أخرجاه في الصحيحين. وقال ﷺ: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي**»، وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي**»، الحديث. ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**».

---

(١) نقله الشعراني في «لطائف المنن» (١/ ١٤٥).

دعوى الصوفية لعلم الغيب باب واسع جدًا عندهم:

قال إبراهيم بن محمد الدسوقي أحد كبار ضلال الصوفية عن خصائص العارف بالله عندهم: (وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء، وما في البر والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في حياة الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة، ولا يحجب يتلقى علمًا من حكيم عليم).

قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]: (قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب، ويزاجر الطير، ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله، مفتر عليه، بحدسه وتخمينه).

الصوفية أخذوا دينهم من فلاسفة اليونان الوثنين:

قال عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي أحد كبار ضلال الصوفية في كتابه «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر» في الجزء الثاني منه، كما في مظاهر الانحرافات عند الصوفية:

(ولقد اجتمعت بأفلاطون الذي يعدونه أهل الظاهر كافرًا، فرأيته وقد ملأ العالم الغيبي نورًا وبهجة، ورأيت له مكانة لم أرها إلا لآحاد من الأولياء، فقلت له: من أنت؟ قال: قطب الزمان، وواحد الأوان، ولكم رأينا من عجائب وغرائب مثل هذا ليس من شرطها أن تغشى، وقد رمزنا لك في هذا الباب أسرارًا كثيرة ما كان

يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان، فالق القشرة من الخطاب، وخذ اللب إن كنت من أولي الألباب).

وفي موضع آخر بأن أرسطو تلميذ أفلاطون لزم خدمة الخضر واستفاد منه، وكان من تلامذة الخضر، كما في المصدر المذكور، فانظر إعجاب الصوفية بالوثنين من فلاسفة اليونان، وأنهم أخذوا عن الخضر زعموا!، وممن أثبت تلقي الصوفية دينهم عن فلاسفة اليونان، شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –[1]:

(ولهذا لما سلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما هذه الطريق الفاسدة، أورثهم ذلك الفناء عن وجود السوي، فجعلوا الموجود واحدًا، ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق، وحقيقة الفناء عندهم أن لا يرى إلا الحق، وهو الرائي والمرئي، والعابد والمعبود، والذاكر والمذكور، والناكح والمنكوح، والآمر الخالق هو الآمر المخلوق، وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم، وعباد الأصنام ما عبدوا غيره، وما ثم موجود مغاير له البتة عندهم، وهذا منتهي سلوك هؤلاء الملحدين. فحقيقته قول فرعون، لأن فرعون كان في الباطن عالمًا بأن ما يقوله باطل، وكان جاحدًا مريدًا للعلو والفساد، ولهذا جحد وجود الصانع بالكلية، وأما هؤلاء فجهال ضلال، يحسبون أن ما يقولونه هو حقيقة إثبات الرب وتعظيمه، وهو في الحقيقة قول فرعون، فإن فرعون ما كان ينكر وجود هذا العالم، ولا ينكر أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود، وإنما كان ينكر أن لهذا الوجود خالقًا مباينًا له، ولهذا أمر ببناء ليكذب موسى بزعمه أن للعالم آلها فوقه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا

(١) في كتابه «الرد على المنطقيين» ص (٥٢١-٥٢٢-٥٢٣).

لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۞أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ۞ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٣٨ – ٤٢].

وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود، يقولون إن فرعون أكمل من موسى...

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهودًا ولا نصارى، بل كثير من المشركين أحسن حالًا منهم، وهؤلاء أئمة النظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم، كان من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع، من الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة، فإن هؤلاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة، يجعلونها قضايا عقلية صادقة، وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل.

توحيد الله الذي أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل عند الصوفية إلحاد والتوحيد الصحيح عندهم هو الإتحاد:

قال أبو إسماعيل الهروي – رحمه الله –:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

شرح ابن القيم – رحمه الله- هذه الأبيات في «مدارج السالكين»[(١)]، فقال: «وأين قوله ما وحد الواحد من واحد، من قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[آل عمران: ١٨] فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحدونه، وأن أولي العلم يوحدونه، وكذلك إخباره عن أنبيائه ورسله وأتباعهم أنهم وحدوه ولم يشركوا به شيئا، كما أخبر عن نوح ومن آمن معه، وعن جميع الرسل ومن تبعهم، بل أخبر سبحانه عن السموات السبع والأرض وما فيهن أنها تسبح بحمده توحيدًا ومعرفة»

فمن كبار المتصوفة الذين تكلموا عن التوحيد أبو بكر دلف بن جحدر الخراساني الشبلي، سأله أحد الأشخاص عن التوحيد قائلاً له:

(أخبرنا عن توحيد مجرد، وبلسان حق مفرد).

فأجابه الشبلي قائلاً:

(ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليك فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس بحاصل)[(٢)].

---

(١) (٣/ ٤٠٧)، طبعة دار الحديث.

(٢) انظر «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٨٦).

وقال ص (٥٨٧): (ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد).

وما أجمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هنا، قال[١]:«وقوله – المتصوفة – إنه لا تصح العبارة عن التوحيد، كفر بإجماع المسلمين، فإن الله قد عبر عن توحيده، ورسوله عبر عن توحيده، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد، بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد، وقد قال تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾[الأنبياء: ٢٥] ولو لم يكن يصح عنه عبارة، لما نطق به أحد، وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد، كما قال النبى ﷺ:«**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لله**» وقال:«**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، لكن التوحيد الذي يشير إليه هؤلاء الملاحدة، وهو وحدة الوجود، أمر ممتنع في نفسه، لا يتصور تحققه في الخارج، فان الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشيئين المتعددين».

ومن نصوص إلحادهم الكثيرة في هذا، قول الحكيم في قولهم: (خلق الله الزمان): هذه ألفاظ تناقض أصولها؛ لأن خلق الزمان وهو فعل لابد من وقوعه في زمان، وهذا اقتضاء ضيق العبارة عنه، وعدم تأدية اللسان إلى الحق فيه، فإذا تحقق فكان الموحد هو الموحد، وعدم سواه، وذهب الحدوث جملة صح التوحيد الذاتي، وهو قولهم: (لا يعرف الله إلا الله)[٢].

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٥١).

(٢) «مظاهر الانحرافات عند الصوفية» (١/ ٢١٧).

وحكى عن منصور المغربي أنه قال:

(كنت بجامع بغداد والحصري يتكلم في التوحيد، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء، فقال أحدهما لصاحبه: هذا علم والتوحيد غيره)[١].

وقال ابن عطاء أنه قال:

(حقيقة التوحيد نسيان التوحيد)[٢].

وفي «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٨٨)، نقل عن بعضهم، قال:

(لا تصح المعرفة، وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه).

وقال الصوفي الضال محمد أبو المواهب الشاذلي[٣] في كتابه «قوانين حكم الإشراق»، فقد قال متحدثًا عن التوحيد عند الصوفية:

(توحيد هو تعداد، وتوحيد أنا إفراد، فإذا أردت أن تستغرق بحر الإفراد، وتقف على الساحل مع الأفراد، فاجعل توحيدك هو بلا هو، فهناك تذهب بينونة البين)[٤].

ونقل أبو القاسم القشيري عن سهل بن عبدالله أنه قال في «المعرفة»:

(المعرفة غايتها شيئان: الدهش، والحيرة).

وقال ذو النون المصري في وصفه لأعرف رجل بالله:

---

(١) المصدر السابق(١/ ٢١٨).

(٢) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٨٨).

(٣) مترجم في «طبقات الشعراني» (٢/ ٦٧).

(٤) عزاه صاحب كتاب «مظاهر الانحرافات» (١/ ٢٢٠) إلى «قوانين الحكم» لجمال الدين أبي المواهب الشاذلي ص(١٠).

(أعرف الناس بالله أشدهم تحيرًا فيه)[1].

قلت هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، أن يؤول أمره إلى الجهل والتحير، حتى يكون من أضل الناس فمثله لا يكون عارفا بالله عز وجل، ولا بشرعه، وقد ذم الله عز وجل الحائرين في توحيده، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٧١]، ففي الآية أن التحير في توحيد الله ردة، وكيف لا يكون ردة وهو مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره: يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حُنَفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**». وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة، كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية .

---

(١) «الرسالة القشيرية»(٢/ ٦٠٥).

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠] قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبرًا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[آل عمران: ٩٧]، وهذا معنى حسن صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النَّخَعي، وسعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، وعِكْرِمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لدين الله.

وقال البخاري: قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لدين الله، خَلْقُ الأولين: دين الأولين، والدين والفطرة: الإسلام.

حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجسانه، كما تَنْتِج البهيمة بهيمة جَمْعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»؟ **ثم يقول**: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[الروم: ٣٠].

ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب، عن يونس بن يزيد الأيْلي، عن الزهري، به. وأخرجاه -أيضا -من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن همام، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

وقال الإمام ابن أبي العز – رحمه الله – في «شرح الطحاوية» (تحت قول الطحاوي «**فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه**

عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائها، شكا، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحدا مكذبا»: يتذبذب: يضطرب ويتردد، وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه تهافت التهافت: ومن الذي قال في الإلهيات شيئا يعتد به؟ وكذلك الآمدي، أفضل أهل زمانه، واقف في المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره. وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه: أقسام اللذات:

نهايـة إقـدام العقـول عقـال ... وغاية سـعي العـالمين ضـلال
وأرواحنـا في وحـشة مـن ... وحاصـل دنيانـا أذى ووبـال
ولم نـستفد مـن بحثنـا طـول ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مـسرعين وزالـوا
وكـم مـن جبـال قـد علـت ... رجال فزالـوا والجبـال جبـال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥]. ﴿ **إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ** ﴾ [فاطر: ١٠]. وأقرأ في النفي:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

قال الملحد ابن عربي يقرر عبادة السامري وأصحابه للعجل توحيدًا:

(ثم قال هارون لموسى عليه السلام: إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل، فتجعلني سببًا في تفريقهم، فإن عبادة العجل فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعًا للسامري، وتقليدًا له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن الله قضى أن لا يعبد إلا إياه... وما حكم الله بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء)[(١)].

ثم قال ابن عربي:

(والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك)[(٢)].

ويقول عبد الكريم الجيلي مفسرًا «لا إله إلا الله»:

(يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا، ولهذا

---

(١) «فصوص الحكم» ص (١٩٢).

(٢) «فصوص الحكم» ص (١٩٥).

أثبت لهم لفظ الآلهة، وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة، تسمية حقيقية لا مجازية، إنه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو، فقال: «لا إله إلا أنا»، أي ما ثم من يطلق عليه اسم الإله إلا هو أنا.. لا إله إلا أنا، أي ما ثم إلا أنا، وكل ما أطلق عليه اسم الإله فهو أنا)[1].

ومن هذه الكفريات عنهم كثير وفيما ذكر برهان على قولهم بوحدة الوجود، وهذه بعض أحكام أئمة الهدى عليهم، ذكر منهم شيخ الإسلام – رحمه الله – كما في «الرسائل والمسائل»: (سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعمر بن عبدالعزيز، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وإبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم).

إلى أن قال: (كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء، ومن هو أرجح منهم، وأن الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءًا من خلقه، وصفة لخلقه، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن ابن عربي وعقيدته الوجودية:

(ليس عند ابن عربي رب وعالم، كما تقول الفلاسفة الإلهيون الذين يقولون بواجب الوجود وبالعالم الممكن الوجود، بل عنده وجود العالم هو وجود الله، وهذا

---

(١) منقول من كتابه «الإنسان الكامل » كما في «مظاهر الانحرافات» (١/ ٢٨٢).

يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقًا، ولا يقرون بوجود واجب غير العالم، كما ذكر الله عن فرعون وذويه، وقوله مطابق لقول فرعون، لكن فرعون لم يكن مقرًا بالله، وهؤلاء يقرون بالله، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون، فهم أجهل من فرعون وأضل، وفرعون أكفر منهم في كفره من العناد والاستكبار ما ليس في كفرهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: ١٤].

وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الإيمان الثلاثة، فإن أصول الإيمان: الإيمان بالله، والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر.

فأما الإيمان بالله فزعموا أن وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم.

وأما الرسول فزعموا أنهم أعلم بالله منه، ومن جميع الرسل، ومنهم من يأخذ العلم بالله الذي هو التعطيل ووحدة الوجود من مشكاته، وأنهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن الله.

وأما الإيمان باليوم الآخر فقد قال:

فلم يبق إلا صادق الوعد وما لوعيد الحق عين تعاين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلالة قبله أنه قال: إن النار تصير لأهلها طبيعة نارية يتمتعون بها، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب؛ لأنه أمر مستعذب، ثم إنه في الأمر والنهي عنده الآمر والناهي والمأمور والمنهي واحد).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(وكثير من ملاحدة المتصوفة كابن عربي وابن سبعين والقنوي والتلمساني وغيرهم يوافقونهم في أصولهم، لكن يغيرون العبارات الإسلامية عما هو قولهم... وهؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه يجوزون أن يكون الرجل يهوديًا أو نصرانيًا أو مشركًا يعبد الأوثان فليس الإسلام عندهم واجبًا، والتهود والتنصر والشرك محرمًا، لكن قد يرجحون شريعة الإسلام على غيرها، وإذا جاء المريد إلى شيخ من شيوخهم وقال: أريد أن أسلك على يديك، يقول له: على دين المسلمين أو اليهود أو النصارى؟ فإذا قال له المريد: اليهود والنصارى أما هم كفار؟ يقول: لا، ولكن المسلمون خير منهم، وهذا من جنس جدل التتر أول ما أسلموا، فإن الإسلام عندهم خير من غيره، وإن كان غيره جائزًا لا يوالون عليه ولا يعادون عليه).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: (وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهودًا ولا نصارى، بل كثير من المشركين أحسن حالاً منهم، وهؤلاء أئمة النظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم كان من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة، فإن هؤلاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة، وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل).

محبة الله عز وجل عند الصوفية:

أن يستغني العبد عن ربه عز وجل، والله عز وجل يقول: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥].

قال أبو يعقوب السوسي في تعريف المحبة:

(حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله، وينسى حوائجه إليه)[1].

والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويقول عبد الرحمن الوكيل بعد إيراده لأبيات عديدة عن ابن الفارض التي قالها متغنيًا بحب الله حسب زعمه:

(فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خطئه أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه، وتعربد في جسدها الرخيص أنيابه وأظفاره، ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه التي يعرف أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم!! وليصحح مؤرخو الأدب تاريخه، فابن فارض يؤكد أن أولئك العشاق قيس، جميل، كثير، وكل شعراء العشق لم يريقوا خمور الغزل إلا للذات الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهم القواتل!!

أوعيت أذن علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة جلهن عواطل من الفضيلة عوار عن الشرف!! كهان الصوفية أو حواريهم أن أربابهم تتجلى دائمًا في صور إناث تجردن لخطايا العشق، وآثم الليل في حان الغرام).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:

(وفي كلام بعض الشيوخ: المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب.

قال: أرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان، ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود، بل يحب ما يلائمه وينفعه، ويبغض ما ينافيه ويضره، ولكن استفادوا بهذا

---

(١) انظر «الرسالة القشيرية» (٢/ ٦١٦).

اتباع أهوائهم، فهم يحبون ما يهوونه، كالصدور والرئاسة وفضول المال والبدع المضلة، زاعمين أن هذا من محبة الله، ومن محبة الله بغض ما يبغضه الله ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال.

وقال رحمه الله:

(فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه، الذين يحبهم ويحبونه، وبين من يدعي محبة الله ناظرًا إلى عموم ربوبيته، أو متبعًا لبعض البدع المخالفة لشريعته، فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرًا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخًا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوة المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله، ونحو ذلك، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو تمسك النصارى من الكلام المتشابه، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصومًا، فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا، ثم إنهم يتنقصون العبودية، ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح، ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه).

قول الصوفية بالحلول:

يقول الحلاج في أبيات شعرية طويلة:

(أنا من أهوى ومن أهوى أنـا ... لـيس في المـرأة شيء غيرنـا
فدسـها المنـشد إذا أنـشده ... نحـن روحـان حللنـا بـدنا

أثبت الشركة شركًا واضحًا كل من فرق فرقًا بيننا
لا أناديه ولا أذكره إن ذكري وندائي يا أنا

إلى أن قال:

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني
فتوحيدك توحيدي وعصيانك عصياني
أنا الحق والحق للحق حق لابس ذاته فما ثم فرق)

ويقول الحلاج أيضًا[1]:

(أدعوك بل أنت تدعوني فهل ناديت إياك أم ناجيت إياي
يا كل كلي ويا سمعي ويا يا جملتي وتباعيضي وأجزائي

وقال البسطامي:

(رفعني الله مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد، إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(الحلول والاتحاد أربعة أقسام:

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ المَقَالَاتِ: لَا أَعْرِفُهَا لِأَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ قَبْلَ هَؤُلَاءِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ؛ وَلَكِنْ رَأَيْت فِي بَعْضِ كُتُبِ الفَلْسَفَةِ المَنْقُولَةِ عَنْ أَرِسْطُو أَنَّهُ حَكَى عَنْ بَعْضِ الفَلَاسِفَةِ قَوْلَهُ: إنَّ الوُجُودَ وَاحِدٌ، وَرَدَّ ذَلِكَ، وَحَسْبُك بِمَذْهَبِ لَا يَرْضَاهُ مُتَكَلِّمَةُ الصَّابِئِينَ.

(١) «ديوان الحلاج» ص (٧).

وَإِنَّمَا حَدَثَتْ هَذِهِ المَقَالَاتُ بِحُدُوثِ دَوْلَةِ التَّتَارِ، وَإِنَّمَا كَانَ الكُفْرُ الحُلُولَ العَامَّ، أَوْ الِاتِّحَادَ، أَوْ الحُلُولَ الخَاصَّ.

وَذَلِكَ أَنَّ القِسْمَةَ رُبَاعِيَّةٌ؛ لِأَنَّ مَنْ جَعَلَ الرَّبَّ هُوَ العَبْدَ حَقِيقَةً؛ فَإِمَّا أَنْ يَقُولَ بِحُلُولِهِ فِيهِ؛ أَوْ اتِّحَادِهِ بِهِ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِمَّا أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِبَعْضِ الخَلْقِ كَالمَسِيحِ، أَوْ يَجْعَلَهُ عَامًّا لِجَمِيعِ الخَلْقِ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

الأَوَّلُ: هُوَ الحُلُولُ الخَاصُّ، وَهُوَ قَوْلُ النسطورية مِنْ النَّصَارَى وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَقُولُ: إنَّ اللَّاهُوتَ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ، وَتَدَرَّعَ بِهِ كَحُلُوْلِ المَاءِ فِي الإِنَاءِ، وَهَؤُلَاءِ حَقَّقُوا كُفْرَ النَّصَارَى؛ بِسَبَبِ مُخَالَطَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ أَوَّلُهُمْ فِي زَمَنِ المَأْمُونِ؛ وَهَذَا قَوْلُ مَنْ وَافَقَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى مِنْ غَالِيَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَغَالِيَةِ الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّهُ حَلَّ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَئِمَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَغَالِيَةِ النُّسَّاكِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالحُلُولِ فِي الأَوْلِيَاءِ، وَمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِي الوِلَايَةِ، أَوْ فِي بَعْضِهِمْ: كَالحَلَّاجِ وَيُونُسَ وَالحَاكِمِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ.

وَالثَّانِي: هُوَ الِاتِّحَادُ الخَاصُّ، وَهُوَ قَوْلُ يَعْقُوبِيَّةِ النَّصَارَى، وَهُمْ أَخْبَثُ قَوْلًا، وَهُمْ السُّودَانُ وَالقِبْطُ، يَقُولُونَ: إنَّ اللَّاهُوتَ وَالنَّاسُوتَ اخْتَلَطَا وَامْتَزَجَا كَاخْتِلَاطِ اللَّبَنِ بِالمَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ مَنْ وَافَقَ هَؤُلَاءِ مِنْ غَالِيَةِ المُنْتَسِبِينَ إلَى الإِسْلَامِ.

وَالثَّالِثُ: هُوَ الحُلُولُ العَامُّ، وَهُوَ القَوْلُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الجَهْمِيَّةِ المُتَقَدِّمِينَ، وَهُوَ قَوْلُ غَالِبِ مُتَعَبِّدَةِ الجَهْمِيَّةِ؛ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ اللهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَيَتَمَسَّكُونَ بِمُتَشَابِهِ مِنْ القُرْآنِ كَقَوْلِهِ: ﴿ **وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ** ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾.

الرَّابِعُ: الِاتِّحَادُ العَامُّ، وَهُوَ قَوْلُ هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَيْنُ وُجُودِ الكَائِنَاتِ، وَهَؤُلَاءِ أَكْفَرُ مِنْ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: مِنْ جِهَةِ أَنَّ أُولَئِكَ قَالُوا: إِنَّ الرَّبَّ يَتَّحِدُ بِعَبْدِهِ الَّذِي قَرَّبَهُ وَاصْطَفَاهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونَا مُتَّحِدَيْنِ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: مَا زَالَ الرَّبُّ هُوَ العَبْدُ، وَغَيْرُهُ مِنْ المَخْلُوقَاتِ لَيْسَ هُوَ غَيْرَهُ.

وَالثَّانِي: مِنْ جِهَةِ أَنَّ أُولَئِكَ خَصُّوا ذَلِكَ بِمَنْ عَظَّمُوهُ كَالمَسِيحِ، وَهَؤُلَاءِ جَعَلُوا ذَلِكَ سَارِيًا فِي الكِلَابِ وَالخَنَازِيرِ وَالأَقْذَارِ وَالأَوْسَاخِ، وَإِذَا كَانَ الله تَعَالَى قَدْ قَالَ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾. فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: إِنَّ الله هُوَ الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ وَالصِّبْيَانُ وَالمَجَانِينُ وَالأَنْجَاسُ والأنتان، وَكُلُّ شَيْءٍ.

وَإِذَا كَانَ الله قَدْ رَدَّ قَوْلَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى لَمَّا قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، فَكَيْفَ بِمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى هُمْ أَعْيَانُ وُجُودِ الرَّبِّ الخَالِقِ لَيْسُوا غَيْرَهُ وَلَا سِوَاهُ؟ وَلَا يُتَصَوَّرُوا أَنْ يُعَذِّبَ الله إِلَّا نَفْسَهُ؟

وَأَنَّ كُلَّ نَاطِقٍ فِي الكَوْنِ فَهُوَ عَيْنُ السَّامِعِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا**»، وَأَنَّ النَّاكِحَ عَيْنُ المَنْكُوحِ)[1].

غلو المتصوفة في رسول الله ﷺ:

قال محمد البكري[2]:

---

(١) من «مجموع الرسائل» (٢٨-٣٠).

(٢) مترجم في «الطبقات الكبرى» للشعراني ص ١٢٣.

(اللهم صل وسلم وبارك على من تشرفت به جميع الأكوان، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي ظهرت به معالم الفرقان، وصل وسلم وبارك على عين الأعيان، والسبب في وجود كل إنسان)[1].

ويقول الصوفي الضال محمد البكري واصفًا رسول الله ﷺ:

(قبضة النور من قديم أرتنا ... في جميع الشئون قبضًا وبسطا
وهي أصل لكل أصل تبدى ... بسطت فضلها على الكون

إلى أن قال:

هي ناسوت انسنا والهيولا ... شمس سر الوجود بكرًا
كل والكل منه ... وعليه مبناه ما اختل شرطا)

ومن الردود على هذه الأقوال الفاجرة، قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧١ – ٧٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

فهذه أدلة قاطعة على أن أول مخلوق بشري هو آدم عليه السلام، وبما أن الرسول من ذرية آدم عليه السلام فهو بشر إذًا، وقد خلق مما يخلق منه البشر وهو الماء، كما في

(١) «مجموع الأوراد الكبرى» ص (٢٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

وقد أمره الله أن يقول إنه بشر، بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال التيجاني: (لما خلق النور المحمدي جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعًا أحديًا قبل التفصيل في الوجود العيني، وذلك في مرتبة العقل الأولي)[(١)].

ومن غلوهم إن علم اللوح والقلم بعض من علم الرسول ﷺ، ففي بردة البوصيري يقول:

(فإن من جودك الدنيا ومن علومك علم اللوح

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

قال ابن رجب وغيره: إنه لم يترك لله شيئاً ما دامت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ، ونشهد أن من يقول هذا؛ ما شهد أن محمداً عبد الله ، بل شهد أن محمداً فوق الله ![(٢)].

---

(١) عزاه صاحب «مظاهر الانحرافات الصوفية» (١/ ٣٨٦)، إلى «الرماح» لعمر بن سعيد التيجاني(١/ ١٤٧).

(٢) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٦٩)، وفي «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (١١/ ١٢١-٢٣٢)، رد جيد على ضلالات البردة.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال يوسف بن إسماعيل النبهاني الصوفي الشاذلي[1]:

(وكلهم من رسول الله ... غرفًا من البحر أو رشفًا من
فإنه شمس هم فضل كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في

وعن العلوي الحسيني:

(فإلى المرسلين أنت رسول ... منك حقًا غشتهم الأضواء
أنت أصل لكل أصل فكل ... عنك فرع وإنهم آباء)

والدليل القاطع للإثبات بأن الرسل أوحي إليهم كما أوحي إلى رسوله محمد ﷺ، قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا * وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا * رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[النساء: ١٦٣ – ١٦٥].

ادعاء المتصوفة بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ:

قال ابن نباتة المصري:

---

(١) انظر «رحمة الله على العالمين» للنبهاني ص(٥١)، كما في «مظاهر الانحرافات الصوفية» (١/ ٤٠١).

(لولاه ما كان أرض ولا أفـق ولا زمان ولا خلق ولا جبـل
مناسك فيهـا للهـدى شـهب ولا ديار بهـا للـوحي تنزيـل)

اعتقاد الصوفية شرعية دعاء الرسول ﷺ دون الله:

قال الله في كتابه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]. والآيات في كفر من يدعو من دون الله، أو مع الله من لا ينفعه، ولا يضره كثيرة.

قال أحد كبار الصوفية، عبد الرحيم البرعي [(١)]:

(يا سـيدي يـا رسـول الله يـا يا موئلي يا ملاذي يوم يلقـاني
هبني بجاهك ما قـدمت مـن جـودًا ورجـح بفـضل منـك
واسـمع دعـائي واكـشف مـا مـن الخطـوب ونفـس كـل
فأنـت أقـرب مـن ترجـى عنـدي وإن بعـدت داري
إني دعوتـك مـن نيـابتي بـرع وأنت أسـمع مـن يـدعوه ذو
فامنع جنابي وأكرمني وصـل برحمـة وكرامـات وغفـران)

وقال كما في ديوانه ص (١٤):

فخذ بيدي وجد بالعفو يا من إذا ناديتـه لبـى سريعـا

(١) المترجم في «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ٢١٢).

وقل عبد الرحيم غـدًا رفيقـي وما يخشى رفيقـك أن يـضيعا

ويقول جعفر صادق الميرغني في قصيدة له مستغيثًا بالرسول ﷺ، وداعيًا له من دون الله:

(يـا رسـول الله غوثًـا عجـلا فعظـيم الخطـب فينـا نـزلا
يـا رسـول الله دارك سـيدي أبـدل العـسر بيـسر حـصلا
يـا رسـول الله فـرج سـندي أصلح الـشأن وسـد الخلـلا)

إلى أن قال:

أبـدل الحـال بحـال حـسن وأجـبر الكـسر وبلـغ أمـلا
يـا رجـائي يـا رجـائي أمـلي أحسن العقبى وأصلح عمـلا
فاكـشف الغـم عنـا عجـلا يـا مغيثًـا يـا عظـيمًا بطـلا

انظر تمام الأبيات في «الديوان الكبير» لجعفر الصادق المريغني.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[آل عمران: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ – ٣١].

ثبوت نبوة الخضر ردًا على الصوفية:

قال الفخر الرازي عن الخضر عليه السلام: وهل هو نبي أو ولي، والأكثرون أن ذلك العبد كان نبيًا، واحتجوا عليه بوجوه:

الحجة الأولى: أنه تعالى قال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[الكهف: ٦٥]، والرحمة هي النبوة، بدليل قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[الزخرف: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]. والمراد من هذه الرحمة النبوة.

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥]، وهذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم، ولا إرشاد مرشد، وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبيًا يعلم الأمور بالوحي من الله.

الحجة الثالثة: إن موسى عليه السلام قال: ﴿أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦].

الحجة الرابعة: إن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[الكهف: ٦٨].

وأما موسى فإنه أظهر التواضع حيث قال: ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾[الكهف: ٦٩].

وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى، ومن لا يكون نبيًا لا يكون فوق نبي.

الحجة الخامسة: احتج الأصم على نبوته بقوله في أثناء القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: ٨٢]، ومعناه فعلته بوحي الله وهو يدل على النبوة.

ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى**﴾ [الكهف: ٨٢]، أي: وإنما فعلته عن أمر الله جل جلاله.

ومما يدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله، وليس وليّا فحسب، قوله لموسى عليه السلام: «**يا موسى إني على علم من علم الله، علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله، علمكه الله لا أعلمه**».

وقوله لموسى أيضًا: «**ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رادًا على المتصوفة الذي يحتجون بقصة الخضر مع موسى على أن الأولياء يسوغ لهم الخروج عن الشريعة، كما خرج الخضر عن شريعة موسى، وفعل أمورًا محرمة في شريعة موسى، قال:

(ومثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر وموسى عليه السلام على أن من الأولياء من يستغني عن محمد ﷺ، كما استغنى الخضر، ومثل قول بعضهم أن خاتم الأولياء له طريق إلى الله يستغني به عن خاتم الأنبياء، وأمثال هذه الأمور التي كثرت في كثير من المنتسبين إلى الزهد والفقر والتصوف والكلام والتفلسف، وكفر هؤلاء قد يكون من جنس كفر اليهود والنصارى، وقد يكون أعظم، وقد يكون أخف بحسب أحوالهم)[1].

وقال – رحمه الله –:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٣٩).

(فمن اعتقد أن لأحد من جميع الخلق علمائهم وعبادهم وملوكهم خروجا عن اتباعه وطاعته وأخذ ما بعث به من الكتاب والحكمة، فهو كافر)[١].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله –:

(فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه، وليتشهد شهادة الحق، فإنه بذلك مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه، وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم فحرك تره)[٢].

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في «الفتح» شرح حديث رقم (١٢٢)، كتاب العلم باب (٤٤):

(ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة، فقالوا: أنه يستفاد من قصة موسى والخضر: أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء، وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم؛ لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتنجلي لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون الأحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسى، ويؤيده الحديث المشهور استفت قلبك وأن أفتوك، قال القرطبي:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٩).

(٢) «مدارج السالكين» ص(٣٨٣) طبعة دار الحديث القاهره.

وهذا القول زندقة وكفر؛ لأنه إنكار لما علم من الشرائع، فإن الله قد أجرى سنته وأنفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله، السفراء بينه وبين خلقه، المبينين لشرائعه وأحكامه، كما قال الله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[الحج: ٧٥]، وقال: ﴿**ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ**﴾[الأنعام: ١٢٤] وأمر بطاعتهم في كل ما جاؤوا به، وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به، فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين، وإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طريقًا أخرى يعرف بها أمره ونهيه، غير الطرق التي جاءت بها الرسل، يستغني بها عن الرسول فهو كافر يقتل ولا يستتاب، قال: وهي دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا؛ لأن من قال أنه يأخذ عن قلبه، لأن الذي يقع فيه هو حكم الله، وأنه يعمل بمقتضاه من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، كما قال نبينا ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي**»، قال: وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال: أنا لا آخذ عن الموتى، وإنما آخذ عن الحي الذي لا يموت، وكذا قال آخر: أنا آخذ عن قلبي عن ربي، وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع، نسأل الله الهداية والتوفيق، وقال غيره: من استدل بقصة الخضر على أن الولي يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة، ويجوز له فعله، فقد ضل، وليس ما تمسك به صحيحًا، فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء منه ما يناقض الشرع، فإن نقض لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها، ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعًا وعقلًا، ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر، وقد وقع ذلك واضحًا في رواية أبي إسحاق التي أخرجها مسلم، ولفظه «فإذا جاء الذي يسخرها فوجدها منخرقة، تجاوزها فأصلحها»، فيستفاد منه: وجوب التأني عن الإنكار في المحتملات، وأما قتله الغلام،

فلعله كان في تلك الشريعة، وأما إقامة الجدار، فمن باب مقابلة الإساءة بالإحسان، والله أعلم).

وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» نقلاً عن شيخ الإسلام:

(ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد فهم ما يقع في قلوبهم. ويحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم، وقالوا: لصفاء قلوبهم عن الأفكار وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع؛ فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه؛ اختارهم لذلك ، وخصهم... وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة يستغنى عن الرسل فهو كافر، يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام؛ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول. وبيان ذلك أن من قال: يأخذ عن قلبه، وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى

كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام: «إن روح القدس نفث في روعي»).

بيان بطلان معتقد الصوفية أن الخضر عليه السلام حي وإنهم ينقلون عنه:

والجمهور على أن الخضر قد مات، وممن ذهب إلى موت الخضر وعدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبدالله محمد بن الفضل المرسي فقد قال: أما خضر موسى بن عمران فليس بحي؛ لأنه لو كان حي للزمه المجيء إلى النبي، والإيمان به واتباعه، وقد روى عنه ﷺ أنه قال: «**لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما إلا اتباعي**»[(١)].

وقال محمود الألوسي في تفسيره، آية (٦٥) من سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾:

وكما وقع الخلاف في نبوته وقع الخلاف في حياته اليوم، فذهب جمع إلى أنه ليس بحي اليوم، وسئل البخاري عنه وعن إلياس عليهما السلام هل هما حيان؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ - أي قبل وفاته بقليل-: « **لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد** » والذي في «صحيح مسلم» عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته: «**ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذٍ حية**»، وهذا أبعد عن التأويل ، وسئل عن ذلك غيره من الأئمة فقرأ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ**﴾[الأنبياء: ٣٤]. وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ، ويجاهد بين يديه ويتعلم منه. وقد قال النبي ﷺ يوم بدر « **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** » فكانوا ثلثمائة

---

(١) انظر «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٤٧)، ونقله صاحب «مظاهر الانحرافات عند الصوفية» (٢/ ٥٣١).

وثلاثة عشر رجلاً معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذٍ؟.

وسئل إبراهيم الحربي عن بقائه فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.

ونقل في «البحر» عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي القول بموته أيضاً. ونقله ابن الجوزي عن علي بن موسى الرضا رضي الله تعالى عنهما أيضاً. وكذا عن إبراهيم بن إسحاق الحربي ، وقال أيضاً: كان أبو الحسين بن المنادي يقبح قول من يقول إنه حي.

وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب محمد. وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلي مع الرسول ﷺ الجمعة والجماعة، ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[آل عمران: ٨١].

وثبوت أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلي خلف إمام هذه الأمة، ولا يتقدم عليه في مبدأ الأمر، وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر عليه السلام، وينسى ما في إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة، ثم قال: وعندنا من المعقول وجوه على عدم حياته ، أحدها أن الذي قال بحياته قال إنه ابن آدم عليه السلام لصلبه وهذا فاسد لوجهين ، الأول: أنه يلزم أن يكون عمره اليوم ستة آلاف سنة أو أكثر ومثل هذا بعيد في العادات في حق البشر. والثاني: أنه لو كان ولده لصلبه أو

الرابع من أولاده كما زعموا أنه وزير ذي القرنين لكان مهول الخلقة مفرط الطول والعرض ، ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خلق آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده** » وما ذكر أحد ممن يزعم رؤية الخضر أنه رآه على خلقة عظيمة وهو من أقدم الناس ، والوجه الثاني أنه لو كان الخضر قبل نوح عليه السلام لركب معه في السفينة، ولم ينقل هذا أحد. الثالث: أن العلماء اتفقوا على أن نوحاً عليه السلام لما خرج من السفينة مات من معه ولم يبق غير نسله، ودليل ذلك قوله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]. الرابع: أنه لو صح بقاء بشر من لدن آدم إلى قرب خراب الدنيا لكان ذلك من أعظم الآيات والعجائب، وكان خبره في القرآن مذكوراً في مواضع؛ لأنه من آيات الربوبية، وقد ذكر سبحانه من استحياه ألف سنة إلا خمسين عاماً وجعله آية، فكيف لا يذكر جل وعلا من استحياه أضعاف ذلك. الخامس: أن القول بحياة الخضر قول على الله بغير علم، وهو حرام بنص القرآن.

أما المقدمة الثانية فظاهرة، والأولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو الإجماع، فهذا كتاب الله، فأين حياة الخضر، وهذه سنة رسول الله، فأين ما يدل على ذلك بوجه، وهؤلاء علماء الأمة فمتى أجمعوا على حياته.

السادس: أن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر، فيالله تعالى العجب، فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه، وكثير من زاعمي رؤيته يغتر بقوله: أنا الخضر، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله، فمن أين للرائي أن المخبر له صادق ولا يكذب.

السابع: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه، وقال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[الكهف: ٧٨]، فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام، ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة، ولا مجلس علم، وكل منهم يقول: قال لي الخضر، أوصاني الخضر، فيا عجبًا له يفارق الكليم موسى ويدور على صحبه مغفل، ولا يصحبه إلا شيطان رجيم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

الثامن: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر، لو قال: سمعت رسول الله يقول كذا وكذا، لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين، ولا مخلص القائل بحياته عن ذلك إلا أن يقول: إنه لم يأت إلى الرسول، ولا بايعه، أو يقول: إنه لم يرسل إليه، وفي هذا من الكفر ما فيه.

التاسع: أنه لو كان حيًّا لكان جهاده الكفار، ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، وإرشاد جهلة الأمة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات إلى غير ذلك).اهـ، المراد من نقل الألوسي في هذه المسألة، والألوسي صوفي، وهو من الذين يرون حياة الخضر، وقد ساق من الأقوال المكذوبة في حياة الخضر في هذا الموضع من تفسيره ما لا يحتاج إلى تثقيل هذه الرسالة بها لعدم ما يعتمد عليه منها، وإنما نقل في المسألة أقوال من خالفهم فيها، وهي الصواب، وخرافاتهم التي أثبتوا فيها حياة الخضر بما لا مستند صحيح لا يعول عليها.

قال صاحب كتاب «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص(٤٦٥):

أ- حياته:

كل الأحاديث المرفوعة التي فيها حياة الخضر، ولقياه نبينا ﷺ، لا يصح منها شيء، وقد سبق بيان أحوال هذه الروايات وقيمتها من الناحية الإسنادية.

قال أبو الخطاب بن دحية: «وجميع ما ورد في حياته، لا يصح منها شيء، باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر، ولا يذكر علته، إما لكونه لا يعرفها، وإما لوضوحها عند أهل الحديث».

وقال ابن المنادي: «وجميع الأخبار في ذكر الخضر، واهية الصدور والأعجاز..».

وقال ابن تيمية: «.. الصواب الذي عليه محققوا العلماء، أن إلياس والخضر، ماتا...».

وقال أيضًا: «..إنهما ليسا في الأحياء، ولا معمران..».

وقال الإمام أحمد: «من أحال على غائب لم ينصف منه، وما ألقى هذا إلا الشيطان». ونقل عن إبراهيم الحربي، أيضًا، القول بموت الخضر. وقد قال بموت الخضر عليه السلام، غير هؤلاء من العلماء.

وقد دل على موته: الكتاب والسنة والمعقول.

أما الكتاب، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[الأنبياء: ٣٤].

قال ابن الجوزي: «فلو دام الخضركان خالدًا». وقال أيضًا: «فالخضر إن كان بشرًا فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح».

وقال ابن كثير مؤكدًا كلام ابن الجوزي – بعد نقله إياه -: «والأصل عدمه، حتى يثبت. ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله».

ودل على وفاته أيضا، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ

﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال ابن كثير: «قال ابن عباس: ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمد وهم أحياء، ليؤمنن به وينصرنه...فالخضر إن كان نبيًا أو وليًا، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيًا في زمن رسول الله ﷺ، لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه؛ لأنه إن كان وليًا فالصديق أفضل منه، وإن كان نبيًا، فموسى أفضل منه، وقد روى الإمام أحمد في مسنده.. أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**» وهذا الذي يقطع به ويعلم من الدين بالضرورة.

وقد دلت هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم، لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ﷺ: لكانوا كلهم أتباعًا له، وتحت أوامره، وفي عموم شرعه، كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع معهم ليلة الإسراء، رفع فوقهم كلهم، ولما هبطوا إلى بيت المقدس، وحانت الصلاة، أمره جبريل عن أمر الله، أن يؤمهم، فصلى بهم في محل ولايتهم، ودار إقامتهم؛ فدل على أنه الإمام الأعظم، والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإذا علم هذا.. علم أنه لو كان الخضر حيًا، لكان من جملة أمته ﷺ، وممن يقتدي بشرعه، لا يسعه إلا ذلك. وهذا عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة، لا يخرج منها، ولا يحيد عنها، وهو أحد أولي العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء بني إسرائيل».

وقد دلت السنة أيضًا على موت الخضر عليه السلام، كحديث: «**أرأيتكم ليلتكم هذه، قال: على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض أحد**». وقد رواه البخاري

ومسلم من حديث عبد الله بن عمر، ورواه الإمام مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد الله بلفظ: «**قال رسول الله ﷺ قبل موته بشهر: تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله، ما على الأرض نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**».

قال ابن الجوزي: فهذه الأحاديث الصحاح، تقطع دابر دعوى حياة الخضر.. فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ، كما هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع: فلا إشكال، وإن كان قد أدرك زمانه، فهذا الحديث، يقتضي أنه لم يعش بعد مائة سنة، فيكون الآن مفقودًا، لا موجودًا، لأنه داخل في العموم، والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله، والله أعلم».

قلت: وقد بين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وجه العموم في الحديث، بقوله: «...فقوله: (نفس منفوسة) ونحوها من الألفاظ في روايات الحديث، نكرة في سياق النفي، فهي تعم كل نفس مخلوقة على الأرض. ولا شك أن ذلك العموم بمقتضى اللفظ، يشمل الخضر، لأنه نفس منفوسة على الأرض».

ودل على موته أيضًا حديث: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة، لا تعبد في الأرض**». قال ابن الجوزي: «ولم يكن الخضر فيهم، ولولا كان يومئذ حيًا، لورد على هذا العموم، فإنه كان ممن يعبد الله قطعًا». واحتج به شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا، فقال: «... وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟».

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «..ومحل الشاهد منه قوله ﷺ «**لا تعبد في الأرض**». فعل في سياق النفي: فهي بمعنى: لا تقع عبادة لك في الأرض، لأن الفعل ينحل عن مدر وزمن عند النحويين، وعن مصدر ونسبة وزمن عند كثير من

البلاغيين؛ فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا، فيتسلط عليه النفي، فيؤول إلى نكرة في سياق النفي، وهو من صيغ العموم..، فإذا علمت أن معنى قوله ﷺ: «**إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»: أي لا تقع عبادة لك في الأرض: فاعلم أن ذلك النفي يشمل بعمومه، وجود الخضر حيًا في الأرض؛ لإنه على تقدير وجوده حيًا في الأرض، فإن الله يعبد في الأرض، ولو فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام؛ لأن الخضر مادام حيًا، فهو يعبد الله في الأرض».

واستدل بهذا الحديث الإمام ابن كثير، ووجهه: بأن تلك العصابة – التي هي مقصود الحديث – كان فيه سادة المسلمين يومئذ، وسادة الملائكة، حتى جبريل عليه السلام، فلو كان الخضر حيًا، لكان وقوفه تحت هذه الراية، أشرف مقاماته، وأعظم غزواته.

وقد نقل الإمام ابن القيم عن الإمام ابن الجوزي، وجوهًا من المعقول تدل على موت الخضر، وهي:

١- أن الذي أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم لصلبه، وهذا فاسد؛ لأنه يلزم منه أن يكون عمره الآن، ستة آلآف سنة، ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

٢- لو كان الخضر، ولد آدم لصلبه، أو الرابع من ولده ولده – كما زعموا – فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا، بل لكان الخضر، مفرطًا في الطول والعرض، بدليل حديث أبي هريرة، في الصحيحين مرفوعًا: «**خلق الله آدم طوله ستون ذراعًا، فلم يزل الخلق ينقص بعد**». ولم يذكر أحد ممن زعم رؤية الخضر: أنه رآه على خلقة عظيمة.

٣- أنه لو كان حيًا قبل نوح، لركب معه في السفينة، ولم ينقل هذا أحد.

٤- أنه قد اتفق العلماء، أن نوحًا لما نزل من السفينة مات من كان معه، ثم مات نسلهم، ولم يبق غير نسل نوح. والدليل على هذا: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

٥- أن هذا لو كان صحيحًا، أن بشرًا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر، ومولده قبل نوح؛ لكان هذا من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر الله سبحانه، أنه أحيا نوحًا عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عامًا، وجعله آية، فكيف بمن أحياه إلى آخر الزمان؟.

٦- أن القول بحياة الخضر، قول على الله بلا علم، وذلك حرام.

٧- أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته: حكايات منقولة، يخبر فيها الرجل أنه رأى الخضر. فيا لله العجب. هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من هؤلاء، يغتر بقول القائل: أنا الخضر. ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله. فأين للرآئي أن المخبر له صادق، لا يكذب؟.

٨- أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن، ولم يصاحبه، وقال له: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]. فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لثل موسى، ويدور على صحبة الجهال من العباد؟!.

٩- أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر، لو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذا وكذا، لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين. إلا أن يقال إنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ، ولا بايعه، أو يقول هذا الجاهل: إنه لم يرسل إليه. وفي هذا من الكفر ما فيه.

١٠- أنه لو كان حيًا؛ لكان جهاده الكفار، ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، ويعلم العلم: أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في الصحاري والبراري. وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه، والعيب له؟.

فهذه الأدلة بمجموعها ترسخ في النفس الجزم بموته.

قال الآلوسي: «.. الأخبار الصحيحة النبوية، والمقدمات الراجحة العقلية، تساعد القائلين بوفاته عليه السلام أي مساعدة، وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة، ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار، إلا مراعاة ظواهر الحكايات المروية والله تعالى أعلم بصحتها، عن بعض الصالحين الأخيار..».

قلت: التعويل لإثبات أمثال هذه الأمور أو نفيها: يكون بمقتضى الدليل الشرعي المعتبر، أما الحكايات بذلك عن الصالحين، فليست حجة شرعية مرعية، توجب صرف ما تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على إثباته أو نفيه.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «والذي تميل إليه النفس، من حيث الأدلة القوية، خلاف ما يعتقده العوام، من استمرار حياته، ولكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة على استمراره، فيقال: هب أن أسانيدها واهية، إذ كل طريق منها لا تسلم من سبب يقتضي تضعيفها، فما يصنع بالمجموع؟ فإنه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي، الذي مثلوا له بجود حاتم.

من هنا: مع احتمال التأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه، كآية: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وكحديث: رأس مائة سنة. وغير ذلك مما تقدم بيانه.

وأقوى الأدلة على عدم بقائه: عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ، وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة، بغير دليل شرعي..».

قلت: والصوفية (الضلال) أنفسهم لم يجمعوا على القول بحياته، بل لهم في ذلك عدة أقوال كما مضى ذكره.

ويجوز أن يكون مستند مدعي رؤية الخضر، هو الحس الظاهر، فيظن أنه رآه بعينيه، وإنما ذلك شيطان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... والجهال الذين يعلقون أمورهم بالمجهولات، كرجال الغيب، والقطب، والغوث، والخضر، ونحو ذلك – مع جهلهم وكونهم يثبتون ما لم يحصل به مصلحة، ولا لطف، ولا منفعة، لا في الدين، ولا في الدنيا – أقل ضلالًا من الرافضة؛ فإن الخضر ينتفع برؤيته وموعظته، وإن كان غالطًا في اعتقاد أنه الخضر، فقد يرى أحدهم بعض الجن، فيظن انه الخضر، ولا يخاطبه الجني، إلا بما يرى أنه يقبله منه، ليربطه على ذلك..، وقد يُرى الخضر على صور مختلفة، وعلى صورة هائلة، وأمثال ذلك، وذلك لأن هذا الذي يقول إنه الخضر، هو جني، بل هو شيطان يظهر لمن يرى أنه يضله..».

وجملة القول: أن الأدلة الصحيحة الرجيحة، تقضي بموت الخضر، ومن زعم رؤيته، فلا يخلوا هذا الزاعم من أن يكون رأى شيطانًا لبّس عليه، أو يكون ذلك خيالًا، ظنّه حقيقةً، أو يكون كاذبًا. والله أعلم.

ب- نبوته:

الذي عليه الجمهور، أن الخضر عليه السلام نبي، والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]. ووجه الاستدلال بالآية الكريمة: أن الرحمة تكرر إطلاقها في القرآن

الكريم على النبوة، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[الزخرف: ٣١ – ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٨٦]، وإطلاق إيتاءه العلم، دليل على نبوته أيضًا، وقد أُطلق هذا في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[النساء: ١١٣]، وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾[يوسف: ٦٨]، فهذه الأدلة تُرشد إلى نبوته.

ويُشعِر تنكير الرحمة في الآية الكريمة، واختصاصها بجناب الكبرياء، أن المقصود بها: الحي والنبوة.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي(في تفسيره لسورة الكهف): «.. ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي: قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾[الكهف: ٨٢]، أي: وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا. ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم، لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى..».

وقال ابن حجر – في بيان وجه الاستدلال من الآية على نبوة الخضر–: «وهذا ظاهر أنه بأمر من الله، والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره، وهو بعيد.

ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام؛ لأن ذلك لا يكون من غير نبي وحيًا، حتى يعمل به ما عمل، من قتل النفس، وتعريض الأنفس للغرق، فإن قلنا: إنه نبي، فلا إنكار في ذلك».

ومن دلائل نبوة الخضر: أن موسى عليه الصلاة والسلام طلب مصاحبة الخضر، ليال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به، فلو كان الخضر وليًا ولم يكن نبيًا، لم يكن معصومًا وموسى أراد أن يتعلم منه زيادة علمٍ على ما عنده من التوراة، فلو كان ما عند الخضر مجرد الإلهام، فمعلوم أنه ليس بعلم ولا تشريع، ولا يفيد اليقين، لجواز أن يكون للشيطان فيه مدخل، فهل يُعقل أن يمضي موسى عليه الصلاة والسلام حقبًا من الزمان، قيل: ثمانين سنة، ويتواضع له، ويتبعه في صورة مستفيد منه، ليتعلم منه شيئًا للشيطان فيه مدخل؟! هل ستقيم هذا في العقل؟!.

ومن دلائل نبوته: تعليله لما فعل بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]،وقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١]، وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، فهذا يدل على أنه كان واثقًا من نتيجة عمله، جازمًا بها، وهي غيب، لا يُدرك إلا بوحي نبوةٍ. ولو كان إلهامًا لقال: فرجوت أن يكون كذا، ولم يجزم به أبدًا.

ومن دلائل نبوته أيضًا: أنه لو فعل ما فعل من الأمور بحكم الإلهام، لوجب عليه القصاص في قتل الغلام، ودفع قيمة تعييب السفينة، ولا تعفيه ولايته من ذلك، لكن شيئًا من ذلك لم يحصل، فدل على أنه كان يفعل بوحي من عند الله.

وهنا أدلة أخرى غير ما ذكر، لكن هذه المذكورات كافية للجزم بنبوته. قال ابن حجر العسقلاني: «والذي لا يتوقف فيه: الجزم بنبوته..». وقال الآلوسي – بعد أن

نسب القول بنبوته إلى الجمهور-: «.. والمنصور ما عليه الجمهور، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين».

فاعتقاد موت الخضر عليه الصلاة والسلام، وأنه لم يدرك زمن النبوة المحمدية: يبطل شرائع الصوفية المخترعة المبنية – بعضها – على أساس: دعوى تلقيها عن الخضر، إذ اعتقاد استمرار حياته إلى آخر الزمان أمر باطل بالأدلة الشرعية والعقلية، فما بني على هذا الاعتقاد الباطل: يأخذ حكمه.

واعتقاد نبوة الخضر عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: أو عقدة تحل من عقد الزندقة، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي، إلى أن الولي، أفضل من النبي). اهـ

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

(وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُ مَيِّتٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ الإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ مَوْجُودًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ، وَيُجَاهِدَ مَعَهُ، كَمَا أَوْجَبَ الله ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ، وَلَكَانَ يَكُونُ فِي مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَلَكَانَ يَكُونُ حُضُورُهُ مَعَ الصَّحَابَةِ لِلْجِهَادِ مَعَهُمْ وَإِعَانَتِهِمْ عَلَى الدِّينِ أَوْلَى بِهِ مِنْ حُضُورِهِ عِنْدَ قَوْمٍ كُفَّارٍ لِيُرَقِّعَ لَهُمْ سَفِينَتَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مُخْتَفِيًا عَنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَهُوَ قَدْ كَانَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَحْتَجِبْ عَنْهُمْ. ثُمَّ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ وَأَمْثَالِهِ حَاجَةٌ لَا فِي دِينِهِمْ وَلَا فِي دُنْيَاهُمْ؛ فَإِنَّ دِينَهُمْ أَخَذُوهُ عَنْ الرَّسُولِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ – ﷺ –، الَّذِي عَلَّمَهُمْ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ... وَإِذَا كَانَ الخَضِرُ حَيًّا دَائِمًا فَكَيْفَ لَمْ يَذْكُرْ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ قَطُّ، وَلَا أَخْبَرَ بِهِ أُمَّتَهُ، وَلَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ. وَقَوْلُ القَائِلِ: إنَّهُ نَقِيبُ الأَوْلِيَاءِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ وَلَّاهُ النِّقَابَةَ، وَأَفْضَلُ الأَوْلِيَاءِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ وَلَيْسَ فِيهِمْ الخَضِرُ. وَعَامَّةُ مَا يُحْكَى فِي هَذَا البَابِ مِنْ الحِكَايَاتِ بَعْضُهَا كَذِبٌ، وَبَعْضُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى ظَنِّ رَجُلٍ، مِثْلُ

شَخْصٍ رَأَى رَجُلًا ظَنَّ أَنَّهُ الخَضِرُ وَقَالَ: إِنَّهُ الخَضِرُ، كَمَا أَنَّ الرَّافِضَةَ تَرَى شَخْصًا تَظُنُّ أَنَّهُ الإِمَامُ الْمُنْتَظَرُ المَعْصُومُ، أَوْ تَدَّعِي ذَلِكَ، وَرُوِيَ عَنْ الإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ - وَقَدْ ذُكِرَ لَهُ الخَضِرُ -: (مَنْ أَحَالَك عَلَى غَائِبٍ فَمَا أَنْصَفَك. وَمَا أَلْقَى هَذَا عَلَى السِنَةِ النَّاسِ إلَّا الشَّيْطَانُ)[1].

ومن العلماء الذين قالوا بموت الخضر، وعدم بقائه إلى الآن الإمام البخاري حيث إنه لما سئل عن حياة الخضر أنكر ذلك، واستدل على عدم حياته وتعميره بالحديث: «**فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد**».

من هو الولي:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» عند تفسير قوله تعالى: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: ٦٢]:

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيًا كان لله وليًا.

وقال الإمام الشوكاني في «تفسيره»:

(والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين، كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٣]، أي: يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ١٠٠-١٠٢).

أما الصوفية الضلال فإن الولاية عندهم أرفع من النبوة، والقول بختم الولاية.

قال الملحد ابن عربي:

(إن الولي يعلم علمين بخلاف النبي فإنه لا يعلم إلا علمًا واحدًا فقط، وإن الولي يعلم علمين: علم الشريعة وعلم الحقيقة، أي الظاهر والباطن، والتنزيل والتأويل، حيث إن الرسول من حيث هو رسول، ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة، فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف، ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول، أو ذو تشريع وشرع)[1].

قال الطحاوي – رحمه الله –: (ولا تفضل أحدًا من الأنبياء على أحد من الأولياء عليهم السلام، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء)، وقال ابن أبي العز – رحمه الله –: (يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ النساء:[٦٤ – ٦٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أقر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة، وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئا من السنة إلا

---

(١) «فصوص الحكم» (١/ ١٣٥).

لكبر في نفسه، والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعا للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعًا لهواه، بغير هدى من الله، وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شبيه بقول الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم! ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!! ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتًا للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقـــام النبـــوة في بـــرزخ فويـق الرسـول ودون الـولي

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣]. والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك. وقال ابن عربي أيضاً في «فصوصه»:

«ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، [غير أنه ﷺ لا يراها، كما قال: لبنة واحدة]، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فتكمل الحائط!! والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في الشرع ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن! فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول ﷺ، قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع!، فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسل المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل؟! تلك أمانيهم: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير. وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾[الأنعام: ١٢٤]. ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم

المرتد. ولكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه. والله المستعان.

الأقطاب عند الصوفية:

قال ابن عربي:

(إن كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل، ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع، وأعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم.

فمن الأقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر، ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين، ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فإنهم كانوا أقطابًا بلا شك).

يتميز القطب عن غيره من البشر عند الصوفية بأمور:

لقد ذكر الشيخ أبوالحسن الشاذلي أن للقطب خمسة عشر علامة، وهي:

(أن يمد بمدد العصمة، والرحمة، والخلافة، والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين، وانفصال الأول عن الأول، وما انفصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه حكم ما قبل وما بعد، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم الإحاطة بكل علم، ومعلوم ما بدا من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه)[1].

الأبدال عند الصوفية:

قال الملحد ابن عربي:

---

(١) عزاه صاحب كتاب «مظاهر الانحرافات» ص (٦٢١)، إلى «اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر»(٢/ ٨٣).

(أما الأبدال فهم سبعة رجال، من سافر منهم من موضع ترك على صورته جسدًا، أي شبحًا يحيا بحياته، ويظهر بأعمال أصله).

وقال أيضًا في مكان آخر:

(اعلم أن ثم رجالاً سبعة، يقال لهم: الأبدال، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم، وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع، ولكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات، وهم إبراهيم الخليل، يليه موسى، يليه هارون، يتلوه إدريس، يتلوه يوسف، يتلوه عيسى، يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين)[١].

وقال النبهاني:

(ومنهم الشيخ عبدالله أحد أصحاب سيدي عمر النبيتي، كتب لي أنه رآني بحضرة رسول الله، وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب: ألبس عبدالوهاب الشعراني طاقيتي هذه، وقل له يتصرف في الكون فما دونه مانع)[٢].

وقال أيضًا:

قال عبدالله اليافعي الغوث: روى عن بعض الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولدًا ذكرًا، فقال: إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار، فسلم إليه ذلك، ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له: يا سيدي وعدتني بولد ذكر، وما وضعت امرأتي إلا أنثى، فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصة، فقال: يا

---

(١) «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٧٦).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/ ٢٧٥).

سيدي ما هي ناقصة إلا شيئًا يسيرًا، فقال له الشيخ: ونحن أيضًا ما أنقصناك إلا شيئًا يسيرًا، فإن أحببت أن نوفي لك فأوف لنا، فقال: نعم يا سيدي، ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان، فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفيناك كما أوفيت، فرجع إلى منزله فوجد غلامًا بقدرة الله تعالى، وإكرامًا لأوليائه عز وجل)[1].

قال بعض المتصوفة:

(لا يكون الشيخ شيخًا حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ).

وقال آخر منهم منكرًا لهذا القول المذكور:

(لو كان شيخًا ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة)[2].

وقال النبهاني:

(عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين كان له خوارق مدهشة، ومنها أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته، وكل من تعرض له بسوء قتله في الحال، دخل مرة الجعفرية فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه، فقال: يا عزرائيل، إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين، وقال له بعض القضاة: اسكت، فقال له: اسكت أنت، فخرس وعمي وصم، وسافر في سفينة

(١) نقله صاحب «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (٢/ ٦٣٢)، عن «نشر المحاسن الغالية» ص(٢٢).

(٢) المصدر السابق ص (٦٨).

فوحلت، ولم يمكن تقويمها فقال: اربطوها بخيط في بيضي، ففعلوا فجرها حتى خلصها من الوحل)[١].

وقال أيضًا: (زين العابدين بن عبدالرءوف المناوي من أكابر الأولياء وأعيان الأصفياء... حدث الحمصاني وهو أحد المشايخ العارفين قال: رأيت طعيمة الصعيدي المصري، وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح، وأمامه إنسان كالنور، أو نور كالإنسان، قلت: ما هذا؟ قال: زين العابدين المناوي، وقد وكل بأهل البرزخ)[٢].

وقال أيضًا: (عبدالرحمن بن أحمد الجامي، ومن كراماته أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن، وإذا بقنفذة ميتة، قد أقبلت على وجه الماء، فأخذها مولانا الجامي ومسح بيده ظهرها فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا)[٣].

وقال الشعراني وهو يتحدث عن الأولياء ومقدرتهم على التصرف عند المتصوفة:

(ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه، كان رضي الله عنه من أجلاء مشائخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية... وكان رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاتة من الأسواق وغيرها... وكان سيدي بن علي بن وفا

---

(١) وهذه الاعجوبات المضحكات وغيرها كثير في «كرامات الأولياء» للنبهاني، وانظر هذا الكلام (٢/ ٢٨٦).

(٢) «كرامات الأولياء» (٢/ ٨٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٥٤).

رضي الله عنه يومًا في وليمة، فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي، فقام له وأجلسه، فدار الكلام بينهما، فقال: سيدي علي، ما تقول في رجل رحى الوجود بيده، يدورها كيف شاء، فقال له: سيدي محمد رضي الله عنه، فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور، فقال له سيدي علي: والله كنا نتركها لك، ونذهب عنها، فقال محمد رضي الله عنه لجماعة سيدي علي: ودعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريبًا إلى الله تعالى، فكان الأمر كما قال، وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها، ثم يصغر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالته المعهودة... ومرضت زوجته فأشرفت على الموت، فكانت تقول: يا سيدي أحمد، يا بدوي، خاطرك معي، فرأت سيدي أحمد رضي الله عنه في المنام وهو ضارب لثامين... وقال لها: كم تناديني وتستغيثي وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين، ونحن لا يخيب من دعانا، وهو في موضع أحد من الرجال، قولي: يا سيدي محمد، يا حنفي، يعافيك الله تعالى، فقالت ذلك، فأصبحت كأن لم يكن بها مرض.

ودخلت على الشيخ يومًا امرأة أمير، فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه، فأنكرت بقلبها عليه، فلحظها الشيخ بعينه، وقال لها: انظري، فنظرت فوجدت وجوههن عظامًا)[1].

وقال الشعراني[2]:

(ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني... كان من أكابر العارفين، وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها، وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاسم

(١) «الكرامات» للنبهاني (١/ ٢٦١).

(٢) في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٠١).

الجنيد رضي الله عنه، وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت: هذه ثلاثون دينارًا أو تضمن الجنة، فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطًا لها: ما يكفي، فقالت: لا أملك غيرها، فضمن لها على الله دخول الجنة، فماتت فبلغ ورثتها ذلك، فجاءوا يطلبون دينارًا من الشيخ، وقالوا: هذا الضمان لا يصح، فجاءتهم في المنام وقالت: اشكروا لي فضل الشيخ، فإني دخلت الجنة، فرجعوا عن الشيخ).

وقال الشعراني أيضًا[1]:

(ومنهم الشيخ الخضري رضي الله عنه المدفون بناحية نها بالغربية، وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلدًا... وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول: الأرض التي بين يدي كالإناء الذي أكل منه، وأجساد الخلق كالقوارير أرى ما في بواطنهم، توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي الله عنه).

وحكى أبوحامد الغزالي:

(أن أبا تراب النخشبي كان معجبًا ببعض المريدين، فكان يدنيه ويقوم بمصالحه، والمريد مشغول بعبادته ومواجدته، فقال أبوتراب يومًا: لو رأيت أبا يزيد، فقال: إني عنه مشغول، فلما أكثر عليه أبوتراب من قوله: لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد، فقال: ويحك، ما أصنع بأبي يزيد، قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد، قال أبوتراب: فهاج طبعي، ولم أملك نفسي، فقلت: ويلك تعتز بالله عز وجل، لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة، فبهت الفتى من قوله

(١) في المصدر السابق (٢/ ١٠٦).

وأنكره، فقال: وكيف ذلك؟! قال له: ويلك، أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت)[١].

وقال إبراهيم الأعزب:

(حضرت في بعض الأيام عند السيد أحمد الرفاعي، قال: أي فقراء الشيخ عثمان السالم أبادي قدس سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان ذريته، فما يجد من سيئة يمحها، ويكتب عوضها بلا معارضة، قال السيد إبراهيم الأعزب: فأخذتني الغيرة من ذلك، فالتفت إلى السيد أحمد الرفاعي وقال: أي إبراهيم، لا يكون الرجل ممكنًا في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء، ويثبت فيها ما يشاء بكرم الله ولطفه، أي إبراهيم، لا يكون الشيخ شيخًا كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله، ولا يصح له الجلوس في المخدة حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع: عند خروج روحه من جسده، وعند مسألة منكر ونكير له، وعند جوازه على الصراط، والميزان)[٢].

ويقول الزنديق أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية الصوفية الضالة:

(ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي، ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب، وعملوا ما عملوا من المعاصي، وأما سائر سادتنا الأولياء رضي الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة). قلت: على الكذاب لعنة الله.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٠٥).

(٢) «قلادة الجواهر» ص (١٩٣).

ويقول الزنديق أحمد الرفاعي[١]:

لي همة بعضها تعلو على الهمم ... ولي هـوى قبـل خلـق اللـوح
أنا الرفـاعي طبـولي في الـسماء ... والأرض في قبضتي والأولياء
كل المشايخ يأتون باب زاويتي ... وفـوق هامـاتهم حـاز العـلا
ولي لواء على الكـونين منتـشر ... وكـل أهـل العـلا مـا أنكـروا
فألجأ بأعتابـك عزيـز الـتمس ... وطف ببابي وقـف مـستمطرًا

ما أبقى هؤلاء الصوفية الكفرة لله شيئًا، إلا، ادعوا أنهم شاركوا الله عز وجل فيه.

ذكر الشعراني عن الشيخ حسين أبي علي قال عنه:

(كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين، وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جنديًا، ثم تدخل عليه فتجده سبعًا، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً، ثم تدخل عليه فتجده صبيًا، وهكذا ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها، ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء، وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة).

وذكر أيضًا أن المجرمين قتلوه ورموه، ثم أصبح حيًّا ووجدوه جالسًا في الكرسي، وهو على أحسن صورة[٢].

وقال المناوي وهو يتحدث عن امتيازات الأولياء دون غيرهم من البشر:

---

(١) انظر «قلادة الجواهر» ص (٢٣٣).

(٢) انظر هذه الأكذوبة الكفرية من هذا الصوفي في «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٨٧).

(النوع الأول: إحياء الموتى، وهو أعلاها، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ومعه دابة فماتت، فسأل الله أن يحييها فقامت تنفض أذنيها، وأن مفرجًا الدماميني أحضروا له فراخًا مشوية، فقال: طيري بإذن الله تعالى، فطارت، ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها، وقال لها: قومي بإذن الله فقامت.

ومات لأبي يوسف الدهماني ولد فجزع عليه، فقال له الشيخ: قم بإذن الله، فقام وعاش طويلاً، وسقط من سطح الفاروقي طفل فمات، فدعا الله فأحياه).

وقال أحمد التيجاني وهو يتحدث عن الولي في المفهوم الصوفي:

(أنه خليفة الله، يملكه الله كلمة التكوين، حتى يقول للشيء كن فيكون من حينه).

وإبراهيم الدسوقي يزعم أن إغلاق النار وفتح الجنة بيده، وإليك نص عبارته:

(أنا بيدي أبواب النار، أغلقها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس، وما كان ولي متصلاً بالله إلا وهو يناجي ربه، كما كان موسى يناجي ربه)[1].

وذكر الشعراني عن الشيخ أبي مدين:

(أن بعض الفقراء شاوره في السفر إلى بلاده ليقطع علائقه، ويجيء إلى الشيخ بالكلية، فإذن له، فباع ذلك الفقير بقرته وبعض أمتعته، وجعل ثمنها في صرة ووضعها في رأسه، فلما جاء في المركب نفض الراجع عمامته فوقعت الصرة في بحر

(١) انظر «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» (٢/ ٦٥٥).

النيل أيام زيارته، فلما دخل على الشيخ حكى له ما وقع، فرفع سيدي مدين رضي الله عنه طرف السجادة وأخرج تلك الصرة تقطر ماء)[١].

وقال الشيخ حسين أحد القادريين الصوماليين، وهو يتحدث عن تصرف الأولياء في هذا الكون:

(كانت الأرض كرة، فأمر الله تعالى رجالاً منهم أنا والشيخ محيي الدين العلي دحيها، فدحوناها بقدرته تعالى)[٢].

الردود على هذه الأقوال الشركية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(فَأَمَّا لَفْظُ الغَوْثِ وَالغِيَاثِ فَلَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الله، فَهُوَ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ الِاسْتِغَاثَةُ بِغَيْرِهِ، لَا بِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ الَّتِي يَطْلُبُونَ بِهَا كَشْفَ الضُّرِّ عَنْهُمْ، وَنُزُولَ الرَّحْمَةِ إِلَى الثَّلَاثِمِائَةِ وَالثَّلَاثِمِائَة، إِلَى السَّبْعِينَ وَالسَّبْعُونَ، إِلَى الأَرْبَعِينَ وَالأَرْبَعُونَ، إِلَى السَّبْعَةِ وَالسَّبْعَةُ، إِلَى الأَرْبَعَةِ وَالأَرْبَعَةُ، إِلَى الغَوْثِ، فَهُوَ كَاذِبٌ ضَالٌّ مُشْرِكٌ، فَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ كَمَا أَخْبَرَ الله تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

---

(١)«طبقات الشعراني» (٢/ ١٥٦).

(٢) نقله صاحب «مظاهر الانحرافات عند الصوفية» (٢/ ٦٥٧)، من كتاب «تذكرة أهل اليقين من مناقب الشيخ محيي الدين» ص (١٣).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فَكَيْفَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ حَوَائِجَهُمْ بَعْدَهُ بِوَسَائِطَ مِنْ الحِجَابِ؟ وَهُوَ القَائِلُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاعِيًا لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٧ – ٣٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَإِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مَشَايِخُهُمْ الْمَعْرُوفُونَ يَرْفَعُونَ إِلَى الله حَوَائِجَهُمْ لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا بِهَذِهِ الوَسَائِطِ وَالحِجَابِ، فَتَعَالَى الله عَنْ تَشْبِيهِهِ بِالمَخْلُوقِينَ مِنْ الْمُلُوكِ وَسَائِرِ مَا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ دَعْوَى الرَّافِضَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ إمَامٍ مَعْصُومٍ، يَكُونُ حُجَّةَ الله عَلَى الْمُكَلَّفِينَ، لَا يَتِمُّ الإِيمَانُ إلَّا بِهِ، ثُمَّ مَعَ هَذَا يَقُولُونَ: إنَّهُ كَانَ صَبِيًّا دَخَلَ السِّرْدَابَ مِنْ

أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةٍ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ عَيْنٌ، وَلَا أَثَرٌ، وَلَا يُدْرَكُ لَهُ حِسٌّ وَلَا خَبَرٌ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ هَذِهِ المَرَاتِبَ فِيهِمْ مُضَاهَاةٌ لِلرَّافِضَةِ مِنْ بَعْضِ الوُجُوهِ؛ بَلْ هَذَا التَّرْتِيبُ وَالأَعْدَادُ تُشْبِهُ مِنْ بَعْضِ الوُجُوهِ تَرْتِيبَ الإِسْمَاعِيلِيَّة وَالنُصَيْرِيَّة وَنَحْوِهِمْ فِي السَّابِقِ وَالتَّالِي وَالنَّاطِقِ وَالأَسَاسِ وَالجَسَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ التَّرْتِيبِ الَّذِي مَا نَزَّلَ الله بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ).

(وكذلك من فسر الأربعين الأبدال، بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم، فذلك باطل، بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر، كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال: يا رسول الله، الرجل يكون حامية القوم، أيسهم له مثل ما يسهم لأضعفهم، فقال: «**يا سعد، وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم**»)[1].

والله عز وجل يقول: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٖ * هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

ويقول الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٣-٤٤٣).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. ثم قال: (وكذلك إخراج شيء من مقتضيات أسماء ربنا سبحانه وتعالى وصفاته عن محله لآيات: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

ونسبة ما للقوي القادر إلى الضعيف العاجز من ربوبية أو إلهية ومعبودية أو مقتضياتهما، حسب أو مثلاً وما في معناهما أقبح شرك بالله وتنديد.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ

﴿ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[الروم: ٢٨]، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢]، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٣٣]، وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس: ٣٤ – ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٣ – ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[النحل: ٢٠ – ٢٢].

الصوفية يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب:

وقال عبدالعزيز الدباغ:

(أما في المقام الأول فإنه يكاشف فيه بأمور منها:

أفعال العباد في خلواتهم، ومنها مشاهدة الأرضين السبع، والسماوات السبع، ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة، وغير ذلك مما في الأرض والسماء، ومن الأشياء التي يشاهدونها اشتباك الأرضين بعضها ببعض، وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى، وما تمتاز به عن أرض أخرى، والمخلوقات التي في كل أرض، ومنها مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض، وما نسبتها من السماوات، وكيف وضع النجوم التي فيها، ومنها مشاهدة الشياطين، وكيف توالدها، ومنها مشاهدة الجن وأين يسكنون، ومنها مشاهدة سير الشمس والقمر والنجوم...)

ثم قال: (وأما ما يشاهده في المقام الثاني، فإنه يكاشف بالأنوار الباقية، كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية، فيشاهد في هذا المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونه.

وأما المقام الثالث: فإنه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار المتقدمة.

وأما المقام الرابع: فإنه يشاهد فيه النور الذي ينبسط عليه الفعل، وينحل فيه كانحلال السم في الماء، فالفعل كالسم والنور كالماء...

وفي المقام الخامس: يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور فيرى النور نورًا، والفعل فعلاً، والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما في الأرحام فضلاً عن غيره)[1].

وقال الشعراني في معرض حديث عن شيخه وأستاذه علي الخواص البرلس:

(كان رضي الله عنه أميًا لا يكتب ولا يقرأ، وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلامًا نفسيًا، يحتار فيه العلماء، وكان محل كشفه اللوح

---

(١) نقله صاحب كتاب «مظاهر الانحرافات» (٢/ ٦٩١)، عن كتاب «الإبريز» للدباغ ص (١٥١)، وما بعدها.

المحفوظ عن المحو والإثبات، فكان إذا قال قولاً لابد وأن يقع على الصفة التي قال، وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم، فما كان قط يحوجهم إلى كلام، بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيتحير الشخص)[١].

ومن الصوفية الذين يزعمون بأن الأولياء يعلمون الغيب علي حرازم بن العربي برادة، فقد قال واصفًا شيخ التيجاني:

(... ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار مضمرات، وإخبار بمغيبات، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات، وغير ذلك من الأمور الواقعات)[٢].

ويقول الشعراني:

(وأما سيدي علي الخواص فسمعته يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إلى استقراره في الجنة أو النار)[٣].

ونقلوا عن عبدالقادر الجيلاني أنه قال[٤]:

(وأعلم نبت الأرض كم من وأعلم رمل الأرض كم هو

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٥٠).

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ٥٣)، كما في «مظاهر الانحرافات».

(٣) انظر «الكبريت الأحمر» (٢/ ٣) كما في «مظاهر الانحرافات» (٢/ ٧٠٠).

(٤) من «فتوح الغيب» للجيلاني ص (٢٣٢)، كما في «مظاهر الانحرافات» (٢/ ٧٠٢).

وأعلم علم الله أحصى حروفه ... وأعلم موج البحر كم هو
أنا الواحد الفرد الكبير بذاته ... أنا الواصف الموصوف علم
ملكت بلاد الله شرقًا ومغربًا ... وإن شئت أفنيت الأنام
وقالوا يا هذا تركت صلاتك ... ولم يعلموا أني أصلي في مكة
مريدي تمسك بي وكن بي ... فأحميك في الدنيا ويوم

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ٥٩ – ٦٠].

عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله**».

قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله:

(قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده «رسله»، فمن قال: إنه ينزل الغيث غدًا وجزم به فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الأرحام فهو كافرن فإن لم يجزم وقال: إن النوء ينزل الله به الماء عادة، وإنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيهًا بكلمة أهل الكفر جهلاً بلطف حكمته؛ لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا، ومرة دون النوء.

قال الله تعالى: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**».

قال: وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضًا). في تفسيره، آية (٥٩) من سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ**﴾ الآية.

قلت كفر مدعي الغيب الذي لا يعلمه إلا الله مجمع عليه، والإجماع على ذلك منقول في مصادر كثيرة.

الصوفية يدعون ويستغيثون بشيوخهم من دون الله عز وجل:

يقول ابن عجيبة الحسني:

(للقوم في لقاء المشائخ آداب، منها أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر، فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية، ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله إن جرت بذلك عادة الفقراء فهو من أحسن التعظيم... ومنها جلوسهم بين يديه

على نعت السكينة والوقار، خافضين أصواتهم، ناكسين رءوسهم، غاضين أبصارهم، فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالسلام.

فإن تعذر عليه «أي المريد» الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض، أو أمر فليشخص شيخه في عينيه بصفته وهيئته، ويشكو له فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه)[١].

ويقول علي بن عثمان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي:

(يا سادة، من كان له منكم حاجة فليلزمني بها، ومن شكى إلى سلطانه، أو شيطانه، أو زوجته، أو دابته، أو أرضه، إن كانت لا تنبت، أو نخلة لا تثمر، أو دابة لا تحمل، فليلزمني بها فإني مجيب له)[٢].

يقول الصيادي:

(وذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الإفرنج، فألهمهم الله أن يقولوا: يا سيدي أحمد، يا بدوي، إن الناس يقولون: إنك تأتي بالأسرى إلى بلادهم، وقد سألناك بالنبي ﷺ أن تردنا إلى بلادنا، فمكنهم البدوي من الهروب من الإفرنج)[٣].

وقال محمد أبوالهدى الصيادي الرفاعي:

(يا رفاعي وقعت في أعتابك ... فتدارك عبدًا يلوذ ببابك
يا رفاعي يا غوث كل البرايا ... لا تضيع طفلاً جميل الرجا بك
أنت غوث الوجود مفتاح كنز ... وجود والخير صح من

(١) ص (٣٣٩)، من «الفتوحات» لابن عجيبة، نقله صاحب «مظاهر الانحرافات» (٧/ ٧٣٤).
(٢) «روضة الناظر» ص (٨٤)، كما في «مظاهر الانحرافات عند الصوفية» (٢/ ٧٣٤).
(٣) كما في «قلادة الجواهر» ص (٤٠٢).

أنت حصن الملهوف والباذل ـــمعروف والعاجزون من
وأنا عبدك الذي باعتقاد علقت راحتاه في ثوابك
فتحرك بهمة وأغثني وتذكر تشرفي بانتسابك
رضي الله عنك أدرك فاني يا رفاعي وقعت في أعتابك)

ويقول محمد أبوالهدى الصيادي الرفاعي أيضًا موجهًا الناس، وداعيًا لهم إلى التوجه بالدعاء والاستغاثة بالرفاعي:

(لذا بباب الجليل الرفاعي ولك الأمن مسلم الدواعي
وتململ برحبه فحماه حرم الوصل قاطع الانقطاع
فهو في العارفين كعبة بيت الـ ـوصل محراب جامع الانتفاع
وملاذي وملجأي ونصيري ومغيثي ومنقذي من ضياع
فعليه الرضا من الله ما صلى وطاف بالبيت ساعي

ويقول الصيادي يصف شيخه الرفاعي:

يلاذ به إن جار في الدهر ويحمي بعلياه إذا الزمن

ويقول الصيادي أيضًا مستغيثًا بشيخه الرفاعي[1]:

به أحتمي إن سامني عذر ودومًا إليه في الصعاب
ومن كرب أستغيث باسمه فذا مأمني من كل عاد وعاديه
وما لي سواه في الأنام وسيلة ولا منجد أيام تسطو أعاديه
وما لي إله إذا جئت خائفًا وقمت أؤدي في القيام

(١) انظر «مظاهر الانحرافات عند الصوفية»(٢/ ٧٣٧-٧٣٩).

الرد على هؤلاء المشركين:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥ – ٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا * فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨ – ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤]، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠ – ٤١]، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٠]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٣٧]، ومنها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥ – ٦٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ

﴿يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٣ – ٥٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠ – ٤١].

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – رحمه الله –:

(فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون الله، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني، أو أجرني، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل)[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله[(٢)]:

(ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها... والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج، والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم

(١) «الفتاوى» (٣/ ٣٩٥).

(٢) في «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٦).

أوثانًا تعبد، وسموا قصدها حجًا، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم).

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله:

(إن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل به إلى الرب... فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي، أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضه، أو قدوم غائبه، أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام).

وقال:(ومن نادى الله ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا، وخوفًا وطمعًا، ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة)[1].

الزهد عند الصوفية القدماء والمتأخرين:

قال الإمام ابن الجوزي:

---

(١) «تطهير الإعتقاد» ص(١٩-٢٦).

(وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدًا فيها، وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير، إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل، فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال، من أي وجه كان، إيثارا للراحة، وحبًا للشهوات، فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل، ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس، وقلبه معلق بطرق الباب، ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سوى (أي قدرة)، ولا يبالون من بعث إليهم، فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه.

وقد قاء أبوبكر الصديق رضي الله عنه من أكل الشبهة.

وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم، ولا ممن في ماله شبهة، ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا، فإن النبي ﷺ قال: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» واليد العليا هي المعطية، هكذا فسره العلماء، وهو الحقيقة، وقد تأوله بعض القوم فقال: العليا هي الآخذة، قال ابن قتيبة: ولا أرى هذا، إلا تأويل قوم استطابوا السؤال).

ثم قال ابن الجوزي: ولقد دخلت بعض الأربطة، فسألت عن شيخه، فقيل لي: قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة، فقلت: ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكن حتى تطوفون على رءوسكم بالسلع، يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولاً على الصدقات والصلات، ثم لا يكفيه حتى يأخذ، فمن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل، وولاية لا عدل فيها، والله إنكم أضر على الإسلام من كل مضر)[1].

(١) انظر «تلبيس إبليس» ص (١٨٥).

الصوفية والزواج:

وقال السهروردي: (من تعود أفخاذ النساء لا يفلح).

وقال أبوسليمان الداراني: (ما رأيت أحدًا تزوج فثبت على مرتبته).

وقال أيضًا: (ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا: من طلب معاشًا، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث)[١].

و ذكر الشعراني عن ياقوت العرش، وهو أحد المتصوفة أنه تزوج ابنة شيخه أبي العباس المرسي، فمكثت عنده ثماني عشرة سنة لا يقربها حياءً من والدها ومنها، وفارقها بالموت وهي بكر.

وذكر الطوسي أن صوفيًا تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر[٢].

الرد على هؤلاء الضلال، قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٣ – ٤]، وقول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٣٢ – ٣٣]

---

(١) «عوارف المعارف» للهروردي ص(١٠٤)، نقله صاحب «مظاهر الانحرافاتط (٢/ ٨٢٩).

(٢) «المظاهر» (٣/ ٨٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[الرعد: ٣٨] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]، وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». متفق عليه.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**». متفق عليه.

وفي طريق آخر عن الأعمش قال: حدثني إبراهيم عن علقمة قال: كنت مع عبدالله فلقيه عثمان بمنى، فقال: يا أبا عبدالرحمن، إن لي إليك حاجة فخليا، فقال لي عثمان: هل لك يا أبا عبدالرحمن في أن نزوجك بكرًا تذكرك ما كنت تعهد، فلما رأى عبدالله أن ليس لي حاجة إلى هذا أشار إليّ، فقال: يا علقمة، فانتهيت إليه وهو يقول: أما لئن قلت ذلك، لقد قال لنا النبي ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

ورد النبي ﷺ على عثمان بن مضعون تبتله، وقال سعد بن أبي وقاص: لو أذن لنا لا ختصينا. أخرجه البخاري.

وقال ﷺ:«**تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وهو حديث صحيح عن معقل رضي الله عنه.

وأجمع المسلمون كلهم على أن النكاح مشروع نقل الاجماع أعداد من الأئمة، منهم الحافظ ابن حجر في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»- أول كتاب النكاح-، والنووي في كتاب النكاح.

الصوفية وجهاد أعداء الإسلام:

قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل رحمه الله:

(سقط بيت المقدس في يد الصليبين عام (٥٤٢هـ) والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعورًا واحدًا، ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه، لقد عاش الغزالي بعد ذلك (١٣) عامًا، إذ مات سنة (٥٠٥هـ) فما ذرف دمعة واحدة، واستنهض همة مسلم ليذود عن الكعبة الأولى.

ويتحدث عن الصحو والمحو، دون أن يقاتل أو يدعو، حتى غيره إلى قتال، وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال، أو دعا إلى قتال، أو سجلا في شعرهما أو نثرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين.

لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبين فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور، هذا حال أكبر زعماء التصوف وموقفهم من أعداء الله، فهو كافحوا غاصبًا، أو طاغيًا.

من أجل ذلك يجب أن لا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال، فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من

وجوه البلاد، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر، ويقضي هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات، أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم)[١].

يقول الرئيس فيلب فونداس المستعمر الفرنسي:

(لقد اضطر حكامنا الإداريون في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية؛ لأنها أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهمًا وانتظامًا من الطرق الوثنية)[٢].

وقد ساعد أتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل، فكانوا يتجسسون لهم، ويرسلون معهم الأدلاء، ويقاتلون إلى جانبهم، وعد مشايخهم ذلك واجبًا يمليه الشرف، ويبغون فيه الاحتساب من الله تعالى.

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر، مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة (عين ماض) المركز الأساسي للطريقة الصوفية التيجانية، وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام (١٣٥٠هـ).

قال فيها: (إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا، ماديًا ومعنويًا وسياسيًا، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار، ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعًا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا).

---

(١) انظر كتاب «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل (١٧٠-١٧٢).

(٢) نقله صاحب كتاب «مظاهر الانحرافات» (٢/ ٩٠٨).

وقال الشيخ شقفة:

(ولم يقف الاستعمار في بلادنا ولا في مصر موقفًا عدائيًا من الصوفية، بل كان يشجعها ويكرم شيوخها، ويحسن استقبالهم ويسارع إلى تحقيق مطالبهم)[١].

وقال علي برادة التيجاني: (إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لأمر الله تعالى، ليسوا بخارجين عن أمره)[٢].

زيغ الصوفية في القدر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:

(قال الحزب الثاني من الصوفية الذي كان هذا المشهد منتهى سلوكهم، عرفوا الفرق الطبيعي، وهم قد سلكوا على ترك الطبيعي، وأنهم يزهدون في حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئًا لأنفسهم، وعندهم أن من طلب للأكل وللشرب الجنة فإنما طلب هواه وحظه، وهذا كله نقص عندهم ينافي حقيقة الفناء في توحيد الربوبية، وهو بقاء مع النفس وحظوظها والمقامات كلها عندهم التوكل والمحبة وغير ذلك، إنما هي منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة، فإذا شهدوا توحيد الربوبية، كان ذلك عندهم عللاً في الحقيقة، إما لنقص المعرفة والشهود، وإما لأنه ذنب وطلب حظوظها، فإنه من شهد أن كل ما في الوجود، فالرب يحبه ويرضاه ويريده لا فرق عنده بين شيء وشيء إلا أن من الأمور ما معه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها، ومنها ما معه ألم لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فإنه قطعًا يرى أن

---

(١) انظر كتاب «التصوف بين الحق والخلق» لشقفة.

(٢) انظر «جواهر المعاني» لعلي برادة، نقله صاحب كتاب «مظاهر الانحرافات» (٢/ ٩١١).

كل من فرق بين شيء وشيء لم يفرق إلا لنقص معرفته وشهوده أن الله رب كل شيء ومريد لكل شيء، ومحب على قولهم لكل شيء، وأما الفرق يرجع إلى حظه وهواه، فيكون طالبًا لحظه، ذابًا عن نفسه، وهذا علة وعيب عندهم، فصار عندهم كل من فرق إما ناقص المعرفة والشهادة، وإما ناقص القصد والإرادة، وكلاهما علة بخلاف صاحب الفناء مع شهود ربوبيته، فإنه يشهد كل ما في الوجود بإرادته ومحبته ورضاه عندهم، لا فرق بين شيء وشيء، فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة، كما قاله صاحب «منازل السائرين»)[١].

وقال: (وقسم ثان يشهدون ربوبيته الحق وافتقارهم إليه، ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه، ورضاه وغضبه ومحبته، وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيرًا ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود، لا يقصدون ما يرضي الرب ويحبه، وكثيرًا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته، فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهي، ويسمون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة)[٢].

بطلان عقيدة الصوفية في التوكل:

قال ذو النون بن إبراهيم المصري:

(التوكل خلع الأرباب وقطع الأسباب).

وسئل أبوعبدالله القرشي عن التوكل فقال:

(ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك).

---

(١) «مجموع الرسائل الكبرى» لابن تيمية (٢/ ١٣٣).

(٢) «التحفة العراقية» لابن تيمية ص (٨٤).

وقال ذو النون المصري أيضًا:

(إذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء)[١].

وقال أبو حامد محمد بن محمد الغزالي:

(فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين، وهو بالعلماء أقبح، فإن الكسب يمنع عن السر بالفكر الباطن)[٢].

الصوفية أعرضوا عن الأخذ بالأسباب وأخذوا التسول:

قال أبوطالب المكي:

(وقد كان الخواص يدقق في أمر التوكل، ويذكر أن الادخار يخرج من التوكل).

وروى أبوالقاسم القشيري عن أبي نصر الصوفي أنه قال:

(خرجت من البحر بعمان، وقد أثر في الجوع، فكنت أمر في السوق، فبلغت حانوت حلاوى، فرأيت فيه حملانًا مشوية وحلواء، فتعلقت برجل، وقلت: اشتر لي من هذه الأشياء، فقال: لماذا، ألك علي شيء، أو عندي دين؟ فقلت: لابد أن تشتري من هذا، فرآني رجل فقال: خله يا فتى إن الذي يجب عليه أن يشتري لك ما تريد أنا لا هو اقترح علي وأحكم بما تريد)[٣].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله[٤]:

---

(١) «مظاهر الانحرافات» (٣/ ٩٧٤-٩٧٥).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٩٢).

(٣) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٧٢).

(٤) ص (٣٤١-٣٤٤) من «تلبيس إبليس» طبعة دار الكتاب العربي.

(قلة العلم أوجبت هذا التخبط، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد، وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده، وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال، فقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا**﴾ [النساء: ٥]، أي قوامًا لأبدانكم، وقال ﷺ: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**»، وقال ﷺ:«**إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»، واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال: ﴿**خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ**﴾ وقال: ﴿**وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾، وقال: ﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا**﴾، وقد ظاهر رسول الله بين درعين، وشاور طبيبين، واختفى في الغار، وقال من يحرسني الليلة، وأمر بغلق الباب، وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺقال: «**أغلق بابك**»، وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافي الاحتراز،أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، نا عبد الله بن يحيى الموصلي، ونصر بن أحمد قالا: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، ثنى أبو جعفر الصيرفي، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا المغيرة بن أبي قرة السدوسي قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء رجل إلى النبي ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها، فقال: أطلقتها وتوكلت على الله، قال: «**اعقلها وتوكل**».

أخبرنا أبن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا إبراهيم بن محمد بن جعفر، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، ثنا أبو بكر الخلال، أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني، ثني عبد الرحمن بن محمد بن سلام، ثنا الحسين بن زياد المروزي قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: تفسير التوكل: أن يرضى بما يفعل به، وقال ابن عقيل: يظن أقوام إن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل، وإن

التوكل: هو إهمال العواقب، وإطراح التحفظ، وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين، ولم يأمر الله بالتوكل، إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فلو كان التعلق بالاحتياط قادحًا في التوكل، لما خص الله به نبيه حين قال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾،وهل المشاورة إلا استفادة الرأي، الذي منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو، ولم يقنع في الاحتياط بأن يكله إلى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا في نفس الصلاة، وهي: أخص العبادات، فقال: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾، وبين علة ذلك بقوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال إن التوكل عليه ترك ما علم، لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة، قال عليه الصلاة و السلام: **«اعقلها وتوكل»** ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق في خير الأحوال وهي حالة الصلاة، وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ بقوله وليأخذوا أسلحتهم، فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز، فإن موسى عليه السلام لما قيل له إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، خرج، ونبينا خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه، ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد أثقاب الغار، وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا، وقال عز و جل في باب الإحتياط: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾، وقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾، وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، وهذا لأن الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى، وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمة المبدأة، يريد إظهار وداعه، فلا وجه لتعطيل ما

أودع اعتمادًا على ما جاد به، لكن يجب استعمال ما عندك ثم أطلب ما عنده، وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور، كالمخلب والظفر والناب، وخلق للآدمي عقلًا يقوده إلى حمل الأسلحة، ويهديه إلى التحصين بالأبنية والدروع، ومن عطل نعمة الله بترك الاحتراز فقد عطل حكمته، كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعًا أو مرضًا، ولا أبله ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء، إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب، وقلبه ساكن مفوض إلى الحق، مُنع أو أُعطى؛ لأن لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة، فمنعه عطاء في المعنى، وكم زين للعجزة عجوزهم، وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل، فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة، والخور حزمًا، ومتى وضعت أسباب، فأهملت كان ذلك جهلًا بحكمة الواضع، مثل وضع الطعام سببًا للشبع، والماء للري، والدواء للمرض، فإذا ترك الإنسان ذلك إهوانا بالسبب، ثم دعا وسأل، فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببًا، فإذا لم تتناوله كان إهوانا لعطائنا، فربما لم نعافك بغير سبب، لإهوانك للسبب، وما هذا إلا بمثابة من بين قراحة وماء الساقية رفسه بمسحاة، فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلبًا للمطر، فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعًا ولا عقلًا).

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله[1]:

وظنوا أنه –أي: التوكل- ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عليه السلام حراثًا، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطًا، وإبراهيم ولوط زراعين، وكان

(١) في «تلبيس إبليس» ص (٣٤٥).

سليمان يعمل الخوص، ودواد يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين رعاة..)

وقال ص (٣٤٦):

(قلت: لو قال رجل للصوفية: من أين أطعم عيالي؟ لقالوا: أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج للتجارة لقالوا: ليس بمتوكل ولا مؤمن، وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين.

أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الدنيا مستجديًا، ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له.

وفند الإمام ابن القيم رحمه الله دعاواهم في هذه المسألة في كتابه «طريق الهجرتين»[1] من عدة وجوه وقال في الوجه الرابع:

أن قوله لأنك رفضت الأسباب ووقفت مع التوكل، إن أراد به رفض الأسباب بالكلية جملة، فهذا كما أنه ممتنع عقلاً وحسًا، فهو محرم شرعًا وديناً، فإن رفض الأسباب بالكلية انسلاخ من العقل والدين، وإن أراد به رفض الوقوف معها والوثوق بها، وأنه يقوم بها قيام ناظر إلى سببها، فهذا حق ولكن النقص لا يكون في السبب ولا في القيام به، وإنما يكون في الإعراض عن المسبب تعالى كما تقدم، فمنع الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد والتوكل، والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى

(١) ص (٢٥٩)، طبعة دار الكتب العلمية.

مسببها، وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال، والله أعلم). اهـ

انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء:

ممشاد الدنيوري الصوفي الضال يزعم بأن الجنة عرضت عليه مرات عديدة، ولكنه زهد عنها تقليلاً لشأنها، فقال:

(منذ ثلاثين سنة تعرض عليّ الجنة بما فيها، فما أعرتها طرفي)[١].

وإبراهيم بن أدهم أحد مشاهير أوائل الصوفية يقول:

(إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك، وآنستني من ذكرك، فاعط الجنة لمن شئت)[٢].

وقال أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى كما في ترجمته من ميزان الاعتدال للذهبي رحمه الله:

ما النار، لأستندن إليها غدًا، وأقول: إجعلني فداء لأهلها، وإلا بلعتُها.

ما الجنة، لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا.

ويفتري البسطامي أن الله عز وجل أدخله الملكوت السفلي والعلوي، وأراه الجنان وما فيها إلى العرش، ثم قال له سلني أي شيء رأيته حتى أهبه لك ؟!، فقال لله عز وجل: يا سيدي ما رأيت شيئًا أستحسنه حتى أسألك إياه[٣].

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٦٠)، طبعة دار الفكر.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٠٨)، طبعة عالم الكتب، و« حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ٣٥)، ساقه من طريقين، الأخرى منهما بغير زيادة « فاعط الجنة لمن شئت».

(٣) انظر «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٧٥)، طبعة دار الفكر.

وقال أبو سليمان الداراني:

إن لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله خوف النار، ولا رجاء الجنة)[١].

ويقول أبو سليمان الداراني أيضًا:

(الرضا أن لا تسال الله تعالى الجنة، ولا تستعيذ به من النار)[٢].

وقال الغزالي:

(فمقصد العارفين كله وصله ولقاؤه فقط، فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها، وصار القلب مستغرقًا بنعيمها.

فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه.

ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه، وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية)[٣].

الرد على هذه الأقوال البائرة، قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٢٨).

(٢) مذكور في «الرسالة القشيرية» ص (١٩٢)، رقم (٨٥٣).

(٣) انظر «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٢٨).

٦]، وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقول الله تعالى لنبيه: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥]، والشيطان يقول: ﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، والأنبياء بلغوا أممهم دين الله، وبشروهم، وأنذروهم خوفًا عليهم من عذاب الله، كما في كثير من الآيات، وانظر كثيرًا من أدلة ذلك من القرآن والسنة، وأقوال السلف، في باب الخوف من «كتاب نظرة النعيم في مكارم الرسول الكريم».

فهؤلاء تاركون لركن من أركان الإيمان، قال الإمام ابن القيم رحمه الله[1]:

(أحدها: أن الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة، التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها، وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة، وقد ذكره سبحانه في قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٦ – ٥٧] فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه، وفعل ما يحبه، ثم يقول: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾، فذكر الحب والخوف والرجاء، والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين، يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه، وأنتم وهم عبيد له، وقد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله: ﴿ فَلَا

(١) في كتابه «طريق الهجرتين» طبعة دار الكتب العلمية ص (٢٨٢).

﴿تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فجعل الخوف منه شرطًا في تحقيق الإيمان).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية**».

وكان ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وقال تعالى في «سورة فاطر»: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الغزالي[1]: (... فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة؛ ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمتى لم يكن له شيخ قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة... فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يبقى في متابعته شيئًا، ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه، أو يحميه ويعصمه بحصن حصين).

ويقول أبوالقاسم القشيري وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه:

(شروط الاتباع موافقة المتبوع، وأن لا يتفرقوا فيصيروا أحزابًا، كما قال سبحانه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، والعلماء ورثة الأنبياء، والمريدون لشيوخهم كالأمة لنبيهم، فشرط المريد أن لا يتنفس بنفس إلا بإذن شيخه، ومن

(١) في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٨١)، طبعة دار الفكر.

خالف شيخه في نفس سرًا وجهرًا فإنه يرى غبه سريعًا في غير ما يحبه، ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه عنهم أشد مما يظهر بالجهر بكثير؛ لأن هذا يلحق بالخيانة، ومن خالف شيخ لا يشم رائحة الصدق فإن بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه، ويلتزم في الغرامة بما يحكم به عليه.

وإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته، فإن المريدين عيال على الشيوخ، فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوة أحوالهم بما يكون جبرانًا لتقصيرهم)[١].

وقال بن عربي الزعيم الصوفي المنحرف[٢]:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة ... فقم بها أد الله بالله

هم الأدلاء والقرباء تؤيدهم ... على الدلالة تأييدًا على الله

كالأنبياء تراهم في محاربهم ... لا يسألون من الله سوى الله

فإذا بدا منهم حال تؤلهم ... عن الشريعة فاتركهم مع الله)

وقال أبويزيد البسطامي:

(إذا أمر الأستاذ التلميذ أمرًا من أمور الدنيا، وبعثه في إصلاحه فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد فيقول: أدخل أولاً المسجد وأصلي،ثم أكون وراء ما بعثني إليه، فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها، يعني ليس لها قعر)[٣].

---

(١) نقله صاحب «مظاهر الانحرافات عند الصوفية » (٣/ ١٠٦٤).

(٢) أول باب من «الفتوحات المكية» لابن عربي.

(٣) «مظاهر الانحرافات» (٣/ ١٠٦٧).

وقال الصوفيان: سراج الدين الرفاعي الصيادي وأبوالهدى الصيادي الرفاعي:

(ومن آداب المريد اللازمة: أولاً حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والحضور... والتواضع له ولذريته وأقاربه، وثبوت القدم على خدمته وأوامره كلّها وجزئيها، وربط القلب به، واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات واستمداد همته، والفناء فيه، وأن يكون ملازمًا له لا يفتر عنه طرفة عين، ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب، فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد... كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها ويعانقها ويجامعها، فخرج منكرًا على شيخه فأخذ منه حالاً جميع ما استفاده من شيخه)[(١)].

قال النبهاني:

علي نور الدين العظمة، كان من أكابر الأولياء والمجاذيب.. ومن كراماته ما حكاه حشيش الحمصاني أنه مر عليه يومًا، فجرى في خاطره الإنكار عليه لعدم ستر عورته، فما تم له هذا الخاطر إلا وقد وجد نفسه بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف شاء، ويقول: انظر إلى قلوبهم، ولا تنظر إلى فروجهم)[(٢)].

ويقول الشعراني وهو يتكلم عن أئمة التصوف:

(ومنهم سيدي الشريف المجذوب رضي الله تعالى عنه ورحمه، وكان رضي الله عنه ساكنًا تجاه المجانين بالمارستان المنصوري، وكان له كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق

---

(١) عزاه صاحب «المظاهر» (٣/ ١٠٦٩)، إلى «قلادة الجواهر» للصيادي ص (٢٧٨).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/ ٣٧٨)، كما في «مظاهر الانحرافات عند الصوفية» (٣/ ١٠٨٦).

أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال، وكان رضي الله عنه يبلع الحشيش، فوجدها يومًا حلاوة، وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار)[١].

قال بن عربي:

(ومن شرط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه، ولا يزن أحواله بميزان، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر، وهي محمودة في الباطن والحقيقة، فيجب التسليم، وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه الله إلى فيه، وقلبه الله في فيه عسلاً، والناظر يراه شراب خمر، وهو ما شرب إلا عسلاً)[٢].

وقد ذكر الشعراني في ترجمة الشيخ عبدالكريم السبكي: أنه كان يتكلم فيما يستحي منه الناس، ولا يرضى عنه العرف، وقد خطب مرة عروسًا رآها فأعجبته، فكشف لها عن جسمه وهي في حضرة أبيها، لكي تطمئن على خلوه من البرص، وبراءته من الخشونة وغيرها مما يستدعي الشكوى بعد الزواج، ثم تناول قضيبه في يده، وطلب منها أن تمعن النظر إليه لتطمئن على حجمه ومنظره)[٣].

وقال الشعراني:

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٥٠)، ونقله في «المظاهر».

(٢) «مظاهر الانحرافات» (٣/ ١٠٩٤).

(٣) عزاه في «المظاهر» (٣/ ١٠٩٨)، إلى «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٨٤).

(كان الشيخ علي أبوخوذة يحب الغلمان، ويعبث بهم بحضرة آبائهم بالغًا ما بلغت مكانتهم، وكان كلما رأى امرأة حسس بيده على مقعدها)[١].

الاحتفالات بالموالد الصوفية ونشأتها:

جاء في خطط المقريزي المسمى كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (١/ ٢٧٤)، تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر معهم)

قال: (كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات).

وقال الشيخ علي محفوظ[٢]:

(إن أول من أحدثها -أي الموالد- بالقاهرة الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد الإمام علي، ومولد السيدة فاطمة، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل ابن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة

---

(١) المصدر الأول للشعراني (٢/ ١٥٣).

(٢) في كتابه «الابداع في مضار الابتداع» ص (١٢٦).

(٥٢٤هـ) بعد ما كاد الناس ينسونها، وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا، وتوسع الناس وابتدعوها كل ما تهواه أنفسهم، ويوحيه إليهم الشيطان).

تشبه الصوفية بالنصارى في إقامة الموالد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]:

(وما أحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة النبي ﷺ وتعظيمهم فيه... ومع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف، ولو كان خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان).

وقال العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله في حكم الاحتفال بالمولد النبوي حينما سئل عنه:

(والجواب أن يقال: إنه لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبًا لرسول الله ومتابعة لشرعه من بعدهم...).

ثم قال الشيخ ابن باز:

---

(١) في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦١٩).

(إن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البدع المحدثات التي أمر الله سبحانه ورسوله بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى، كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في رسول الله أو غيره من الأولياء، ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حتى احتفالهم بمولد النبي وغيره ممن يسمونهم بالأولياء).

وقال ابن الحاج رحمه الله[1]:

(ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات ما يفعلونه من المولد، وقد احتوى ذلك على بدع ومحرمات، ثم ذكر منه استعمال الأغاني بآلات الطرب، وحضور المردان والشباب ورؤية النساء لهم، وما في ذلك من المفاسد.

ثم قال: فإن خلا المولد من السماع وعمل طعامًا فقط، ونوى به المولد، ودعا إليه الإخوان، وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته، إذ أن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، بل أوجب من أن يزيد بنيته مخالفًا لما كانوا عليه).

---

(١) في كتابه «المدخل» (٢/ ٢).

نماذج من الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة:

يقول الشاذلي في أحزاب النصر:

(حم حم حم حم حم حم الأمر وجاء النصر، فعلينا لا ينصرون، حم عسق حمايتنا مما نخاف، اللهم قنا شر الأسوء، ولا تجعلنا محلاً للبلواء، اللهم أعطنا أمل الرجاء، ونور الأمل، يا هو يا هو يا هو)[١].

الرد: قال الإمام ابن القيم رحمه الله[٢]:

(الذكر بالاسم المفرد الله الله غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئًا، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر: (الله الله) من أول عمره إلى آخره، لم يصر بذلك مسلمًا فضلاً عن أن يكون من جملة الذكر، أو يكون أفضل الأذكار، وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر (هو هو) أفضل من الذكر بقولهم (الله الله) وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائر).

ومن أدعيتهم المبتدعة المعتدية:

(إلهي بروح سيدنا محمد ﷺ خلص معارفنا، وبروح نبينا آدم اجعل أرواحنا سابحات في عوالم الجبروت، واكشف لهم عن حضائر اللاهوت، إلهي بالنور

---

(١) في «مظاهر الانحرافات» (٣/ ١١٤٣)، وعزاه «لمجموع الأوراد الكبرى» ص (١٣٣).

(٢) في كتابه «طريق الهجرتين» طبعة دار الكتب العلمية ص (٣٣٨-٣٣٩).

المحمدي الذي رفعت به كل رفيع مقام، وضربت فوق خزانه أسرار ألوهيتك إعلامه، افتح لنا فتحًا حمدانيًا، وعلمًا ربانيًا، وتجليًا رحمانيًا، وفيضًا إحسانيًا)[١].

ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ ويتلونها ليلاً ونهارًا:

(اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أستاذ كل أستاذ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ملاذ كل ملاذ)[٢].

ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ الصلاة التالية:

(اللهم صل على سيدنا محمد، بحر أنواركن ومعدن أسرارك، ولسان محبتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك، المتلذذ بتوحيدك إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين الأعيان خلقك المقدم من نور رضائك، صلاة تدوم بدوامك، وتبقى ببقائك)[٣].

ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول ﷺ قولهم:

(اللهم صل على محمد، الذي تجسد فيه الله، اللهم صل على نفسك التي ظهرت وتظهر في صور الكائنات، اللهم وأسألك بجميع ما تعلم لنفسك من لا يعلمه منك غيرك أن تنفعني يا ذا الجلال والإكرام، فمن شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا تحجب عنها شيء في الأرض ولا في السماء، وأفض على جميع ذاتي لذة الشهود حتى

---

(١) «المظاهر» (٣/ ١١٤٥).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١١٤٦).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١١٤٧).

أكون كلي لذة ذاتية إلهية سارية، وتجلى لي يا إلهي بمقام الاستواء الجامع للمراتب الخفية الإلهية)[١].

ومن الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول ﷺ:

(اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، حتى لا يبقى من الصلاة شيء، وارحم محمدًا وأل محمد حتى لا يبقى من الرحمة شيء، وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركة شيء، وسلم على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيء)[٢].

ومن الصلوات التي ابتدعها أحمد البدوي ليصلي بها على الرسول ﷺ، وزعم لها أتباعه فضلاً معينًا:

(اللهم صل على نور الأنوار، وسر الأسرار، وترياق الأغيار، ومفتاح باب اليسار، سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار، وأصحابه الأخيار، عدد نعم الله وأفضاله)[٣].

ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول ﷺ صلاة الفاتح، وهي قولهم:

(اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم)[١].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١١٤٩).

(٢) المصدر المذكور (٣/ ١١٥٠).

(٣) المصدر المذكور (٣/ ١١٥٧).

وقال التيجاني عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق:

(إن صلاة الفاتح لما أغلق، بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة، ثم قال بعد ﷺ: إن من صلى بها -أي بالفاتح لما أغلق إلخ- مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك، ستمائة ألف صلاة، من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها، أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عمومًا، ملكًا وجنًا وإنسًا، وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات، ورفع عشر درجات، وإن الله يصلي عليه وملائكته بكل صلاة على عشر مرات).

ثم قال: (فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة، فكيف من صلى بها مرات، ماذا له من الفضل العظيم عند الله، وهذا حاصل في كل مرة منها).

وقال: (سألت النبي ﷺ عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة، منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه من الأذكار)[٢].

الرد على هذه البدع:

قول النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**». **متفق عليه.**

---

(١) المصدر المذكور (٣/ ١١٥٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١١٥٩-١١٦٠).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ، إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» **ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى**، ويقول: «**أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**». أخرجه مسلم.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**». حديث حسن.

ويقول الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٧]:

(فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء، ويدع ما سواه، ولا يقولن اختار كذا، فإن الله تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون).

ويقول القرطبي أيضًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿**ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥]، بعد أن ذكر وجوهًا من الاعتداء في الدعاء قال:

(ومنها أن يدعو الله بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة، فيتخير ألفاظًا مفقرة، وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لهؤلاء -يعني المشايخ- لا أصل لها

ولا معول عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية منكرًا على الذين يبتدعون أشياء من عند أنفسهم ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى:

(وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب، ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال: إنه قربة أو طاعة، فكل ذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به، ولا اتخاذه دينًا فلا يجوز جعله من الدين، لا باعتقاد وقول، ولا بإرادة وعمل، وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء، إذا لم يكن محرمًا لا ينهى عنه، بل يقال: إنه جائز، ولا يفرق بين اتخاذه دينًا وطاعة، وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه دينًا بالاعتقاد، أو بالقول أو بالعمل من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات، التي هي أعظم المعاصي التي يعلم أنها معاصٍ وسيئات)[1].

(١) من مجموع الرسائل (١/ ١٣٨).

الفهارس

المقدمة ٣
نشأة التصوف: ٤
تأثر الصوفية: ٥
مصدر التلقي عند الصوفية: ٥
من كفريات الصوفية: ٨
الهداية و الذوق عند الصوفية ٩
تنفير الصوفية عن العلم الشرعي: ١٠
العلم الشرعي عند الصوفية حجاب عن الله: ١٠
الرد على الصوفية بذكر بعض أدلة وجوب تعلم دين الله تعالى وفضل العلم الشرعي وفضل أهله: ١٢
استهزاء الصوفية بعلماء دين الله عز وجل وحملة سنة نبيه ﷺ: ١٤
من عقيدة الصوفية أنهم على حقيقة تخالف الشريعة الإسلامية: ١٦
وجوب هذا العلم المكذوب عند الصوفية: ١٨
عداؤهم لعلماء الشريعة: ١٩
الصوفية باطنية: ٢٠
الغلو الزائد في الرسول ﷺ، والأولياء تشبهًا منهم بالنصارى: ٢٢
غلوهم في الأولياء: ٢٤
أكذوبة العلم اللدّني عند الصوفية: ٢٨
دعوى الصوفية لعلم الغيب باب واسع جدًا عندهم: ٢٩
الصوفية أخذوا دينهم من فلاسفة اليونان الوثنين: ٢٩
توحيد الله الذي أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل عند الصوفية إلحاد والتوحيد الصحيح عندهم هو الإتحاد: ٣١
محبة الله عز وجل عند الصوفية: ٤١
قول الصوفية بالحلول: ٤٣
غلو المتصوفة في رسول الله ﷺ: ٤٦
ادعاء المتصوفة بأن الكون خلق من أجل محمد ﷺ: ٤٩

اعتقاد الصوفية شرعية دعاء الرسول ﷺ دون الله: ٥٠
ثبوت نبوة الخضر ردًا على الصوفية: ٥١
بيان بطلان معتقد الصوفية أن الخضر عليه السلام حي وإنهم ينقلون عنه: ٥٧
من هو الولي: ٧١
الأقطاب عند الصوفية: ٧٥
يتميز القطب عن غيره من البشر عند الصوفية بأمور: ٧٥
الأبدال عند الصوفية: ٧٥
الردود على هذه الأقوال الشركية: ٨٤
الصوفية يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب: ٨٨
الصوفية يدعون ويستغيثون بشيوخهم من دون الله عز وجل: ٩٢
الرد على هؤلاء المشركين: ٩٥
الزهد عند الصوفية القدماء والمتأخرين: ٩٧
الصوفية والزواج: ٩٩
الصوفية وجهاد أعداء الإسلام: ١٠١
زيغ الصوفية في القدر: ١٠٣
بطلان عقيدة الصوفية في التوكل: ١٠٤
الصوفية أعرضوا عن الأخذ بالأسباب وأخذوا التسول: ١٠٥
انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء: ١١٠
تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١١٣
الاحتفالات بالموالد الصوفية ونشأتها: ١١٧
تشبه الصوفية بالنصارى في إقامة الموالد: ١١٨
نماذج من الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة: ١٢٠
الرد على هذه البدع: ١٢٣
الفهارس ١٢٦